

الرحلة المغربية

تأليف : محمد العبدري البلنسي

المتوفى (نحو سنة ٧٢٠ هـ)

تقديم:

أ.د. سعد بوفلاقة



منشورات بونة للبحوث والدراسات

1428 هـ / 2007 م



عاصمة الثقافة العربية

الرّحلة المغربية

الرّحلة المغربية

تأليف: محمّد العبدريّ البلنسيّ

المتوفى (نحو سنة 725 هـ – 1325 م)

تقديم:

أ.د. سعد بوفلاقة

منشورات بونة للبحوث والدّراسات

بونة – الجزائر

1428 هـ/2007 م

عنوان الكتاب : الرّحلة المغربيّة.

المؤلّف: محمّد العبدريّ البلنسيّ.

الطّبعة الأولى: رمضان 1428 هـ/أيلول (سبتمبر) 2007 م.

النّاشر: مؤسّسة بونة للبحوث والدّراسات.

: ص.ب 76 A (وادي القبّة)، عنّابة، الجزائر.

الهاتف المحمول: 82 87 10 72 (213)

النّاسوخ(الفاكس): 35 15 54 38 (213)

البريد الإلكتروني:saad_alandaloussi@hotmail.com

الموقع على شبكة الانترنت: www.bounamagazine.5u.com

رقم الإيداع القانوني: 1787 - 2006

الترقيم الدولي ردمك: ISBN : 9961-914-11-2

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تقديم »

أولا: المؤلف (العبدري صاحب الرّحلة):

هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (أو سعود)، أبو عبد الله، الحاحي، المشهور بالعبدري، نسبة إلى عبد الدار، وهي قبيلة من جنوب المغرب الأقصى، وهو صاحب « الرّحلة »، المعروفة باسمه. أصله من بلنسية بالأندلس، وكان يسكن في بلدة (حاحة)، بالمغرب الأقصى، وكذلك أقام مدة من الزمن في قرية تقع على الطريق بين بسكرة وتوزر بالمغرب الأوسط[1]، وكان من العلماء، بل إن المقروءات التي قرأها، والمسموعات التي سمعها من الشيوخ، تدل على علو كعبه في العلم والأدب، وكان واسع المحفوظ، يقول الشعر[2] .

عزم العبدري على الرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فسافر إليه، برفقة ابنه في الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة 668هـ، الموافق 11كانون الأول (ديسمبر) 1289م[3] .

---

(1)إسماعيل العربي: المدن المغربية، ص: 62، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

(2) صلاح الدين المنجد: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوطسى،ص:70، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1963م .

(3) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج6، ص:401، دار العلم للملايين بيروت.

وقد سجل في رحلته كل ما رآه في ذهابه وإيابه، وكان قد مرّ بكثير من المدائن في المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأدنى، ومصر، والحجاز. وبعد أداء فريضة الحج، عرّج على فلسطين، وزار بعض مدنها، وأقام فيها بعض الوقت، «كما أقام في القاهرة، والاسكندرية، ثم قفل راجعا إلى بلده عن طريق الجزائر، وتلمسان، وفاس، ومكناس، حتى بلغ (أزمور) التي تقع على شاطيء المحيط الأطلسي حيث لحقت به أسرته»[1] .

وقد سمع العبدري في أثناء رحلته من نَفَرٍ من العلماء منهم في تونس الحاضرة: عبد الله بن هارون الطائي، كما تسلّم فيه الخرقة من الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف الأندلسي، وسمع في القيروان من أبي زيد عبد الرحمن بن الأسدي، ثم سمع في مصر من شرف الدين الدّمياطي، وابن دقيق العيد، وزين الدين بن المنيّر، وغيرهم. ولا يبعد أن تكون وفاته نحو سنة 725هـ(1325م). ويبدو أنه قد قضى جانبا كبيرا من حياته في المغرب الاقصى، حتى عرف أيضا باسم « الحيحيى» نسبة إلى « حاحة »[2] التي تبعد عن مدينة الصويرة بحوالي ستين كيلومترا. وقبره معروف فيها، ويطلق عليه اسم «سيدي أبو البركات»[3].

(1) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص: 63.

(2) د.عمر فروخ: المرجع السابق، ص: 402.

(3) الزركلي: الأعلام، مج7، ص: 32.

ويبدو أن الأمر قد التبس على الزركلي إذ جعل له ترجمتين متتاليتين، على أنه شخصان مختلفان[1] ، ووقع في الوهم نفسه عمر رضا كحالة، والحقيقة أن الترجمتين هما للعبدري صاحب الرحلة[2].

وكان شاعرا فحلا، وأديبا، وناقدا[3]، ولكن نقداته لاذعة، لقد وصف البونيين (العنابة) بالجبن في كتابه هذا (الرحلة المغربية)، عندما زار بونة في أواخر القرن السابع الهجري (نحوسنة688هـ-1289م)، فوصفها بقوله: «ثم وصلنا إلى مدينة بونة، فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تُلاحظ من كثب فحوصا ممتدة، وتراعي من البحر جزره ومدّه، تغازلها العيون من جور النوائب، وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب، وقد أزعج السفر عن حلولها، فلم أقض وطرًا من دخولها، ومن أغرب المسموعات أن صادفنا وقت المرور بها زُوَيرِقًا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا، وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصا، فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم، ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير »[4] .

---

(1) انظر الزركلي: المرجع نفسه، ص: 31-32.

(2)د.علي ابراهيم كردي: الرحالة العبدري، الموسوعة الشاملة(موقع الكتروني)، ص: 3.

(3) الزركلي: المرجع نفسه،ص: 32.

(4) الرحلة المغربية، ص: 68، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر 2007م .

ويبدو أن العبدري كان متشائما ويراعي مقاييس لا يقره عليها جلُّ الباحثين،إذ وصف في رحلته كثيرا من العواصم لاتتفق مع واقعها[1] إلا أنه لا ينبغي أن نغفل عن دقة ملاحظاته فهو لايغتر بالمظاهر،وقد اختص بميزة في رحلته لم يشاركه فيها أحدمن الرحالين ،هي: الجرأة في التعبيرعن رأيه وشعوره، والنقد اللاذع لقد وصف مصر وأهل مصر في أخلاقهم وعاداتهم وصفا دقيقا ، وأصلاهم نارا حامية من نقداته، كما أصلى العنابة حين وصفهم بالجبن، فقد غلبهم من الكفار عشرون. ويبدو أن عدم ترحاب البونيين به أثّر في نفسه حتّى قال فيهم هذا الكلام(وقد أزعج السّفر عن حلولها فلم أقض وطرا من دخولها). وكان مذهبه أن الناس هم يعلمون الشاعر الهجاء بسوء أخلاقهم[2]. لذلك تصدّى له أحمد بن قاسم البوني بكتابه الموسوم« التعريف ببونة إفريقية بلد أبي مروان الشريف » ، وكان الكتاب بمثابة ردّ على ما أورده الرحالة العبدري عن بونة في كتابه المذكور، واتّهمه بأنه « أخلّ بالتّعريف ببلد العبد الضعيف، بل ذكر لها نقيصةً عظيمةً، فعقّب(أحمد البوني) في التعريف ببونة إفريقية ...على مقالة العبدري معتمدا

---

(1) المهدي البوعبدلي: لمحات من تاريخ بونة الثقافي والسياسي،(محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، عنابة 19/10 يونيو1976م)، مج:1، ص:52، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر .

(2) أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة...، ص26، طبعة دار الهدى، الجزائر2001م.

على مؤرخ بوني عاش في القرن التاسع الهجري، وهو أبو الحسن علي فضلون الذي صنّف كتابًا في تاريخ المدينة بعنوان(الكلل والحلل) »[1].

ومن نقداته اللاذعة أيضا، قوله في وصف مدينة قابس وأهلها: «... ثم وصلنا إلى مدينة قابس، ذات المخبر الخبيث، والمحيا العابس، هواء وخيم، ولؤم طبع وخيم، و تضييع المصليات والمساجد، وقلة اعتناء بكل راكع وساجد».

وقد اعتمدنا في طبع هذه النسخة على طبعة ظهرت في الجزائر منذ عدة عقود، ونفذت، ولكن تلك الطبعة[2]، وهذه الطبعة أيضا، كان يمكن أن تتم بعناية أكبر، وبطريقة علمية أفضل، ولكن سرعة إنجازنا لهذه الطبعة، بسبب التزامنا مع وزارة الثقافة، في إطار الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة 2007م، جعلنا نقدمها للقارئ الكريم كما هي، بهفواتها التي لا تخفى على القارئ اللبيب، على أمل أن نعود إليها في فرصة اخرى لنقوم بنشرها محققةً مصححةً، إن شاء الله، أو يقوم بهذه المهمة دارسون آخرون.

وهذا النصّ لا يشتمل إلا على وصف شمال إفريقية، والمفروض أن رحلة العبدري تتناول مصر وغيرها من البلدان الشرقية أيضا.

« ومهما يكن من أمر، فإن الرحلة التي بين أيدينا هي أقرب إلى المؤلفات الأدبية منها إلى المصنفات الجغرافية، وذلك على الرغم من أن

---

(1) أحمد بن قاسم البوني: المرجع نفسه، ص27.

(2) نشر وتحقيق ابن جدو، الجزائر(د.ت).

المؤلف يزودنا بالمعلومات الحيوية العامة عن الأماكن والمدن التي أقام بها أو مرّ بها، والآثار التي شاهدها. ونظرة عابرة إلى هذا النص تقنعنا بأن اهتمام الكاتب لا يتّجه إلى الانتاج الاقتصادي والتجارة والسياسة، وغير ذلك من ألوان النشاط الحضاري، وإنّما هو يتّجه إلى الرواية وتراجم العلماء والأدباء، وإلى الشعر بصفة خاصة. والحقّ أنّ الرحلة اقرب إلى أن تكون تقريرا نقديا يعكس إلى حّد ما الحركة الأدبية والعلمية في البلدان التي مرّ بها، منها إلى عمل من النوع الذي عودنا عليه الجغرافيون والرحالون العرب.

والشيء الأساسي الذي يميز رحلة العبدري هو الأسلوب الأدبي الرشيق والشيق، والملاحظة الدقيقة والمعرفة بسيرِ الرجال. ومن هذه الزّاوية يمكن أن نعتبر من أهم جوانب الرّحلة كونها مصدرا لعدد من التراجم المغربية من العلماء والأدباء، ممّا يكمل طبقات أبي العرب ورياض النفوس للقيروان. ومن ضمن التراجم التي تقدمها الرحلة، ولا توجد فيما نعرف في غيرها، ترجمة أبي الحسن بن القاسم بن باديس القسنطيني، الذي تباحث معه المؤلف، وقيد اسمه... »[1].

(1) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص:63-64.

بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم يقول العبد المذنب المستغفر الفقير إلى الله تعالى محمّد بن محمّد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدريّ، عفا الله عنه آمين:

أحمد الله تعالى حمد معترف بالتقصير عائذ بوجهه الأكرم وجلاله الأعظم من سوء المصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتكفل لي بالسلامة من كل ملامة وتضيء في ظلمتي القبر والقيامة وتنير وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبيه وخيرته وصفيه البشير النذير. وعلى آله الأعظمين وصحبه الأكرمين. صلاة تفوت العد والتقدير وتكون لي أثرة باقية وجنة واقية من عذاب السعير. وتمحو من كبير زللي و مسطور خطلي ما جرى به قلم التـــقدير . وبعد فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان. وأحوال من بها من القطان حسبما أدركه الحس والعيان وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان من غير تورية ولا تلويح ولا تقبيح حسن ولا تحسين قبيح. بلفظ قاصد لا يحجم مفـــرداً و لا يجمح فيتعدى المدى. مسطراً لما رأيته بالعيان. ومقرراً له بأوضح بيان حتى يكون

السامع لذلك كالمبصر وتلحق فيه السبابة الخنصر. فتشفى به نفس المتطلع المتشوق ويقف منه على بغيته السائل المتعرف. وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر . وأنشدته من درر. ما أضم في أوراق متبددة وأعقل بعقال الخط متشردة. وأثبت في خلال ذلك مِن نظمي ما يتغلغل إليه الكلام. أو تجنح إلى تحصيله ضوامر الأقلام : وأضيف إلى ذلك ما يضطر إليه التبيان فيما قصر فيه العيان من نبذ مذكورة ونتف مشهورة ونكت مرسومة في الكتب مسطورة. تتميماً لغرض التقييد وتعميماً لأرب المستفيد حتى يكون التأليف في بابه مغنياً وعن الافتقار إلى غيره مستغنياً مثبتا في كل رسم بعض الأحاديث التي رويتها . والآثار التي وعيتها.

تبركاً باتباثها وتيمنا بذكر الفضلاء من رواتها. وأختم ذلك بقصيدة وعظية أسرد فيها الرحلة سرداً وأبرزها من نسج فكري برداً. وربما حمل الامتعاض لحذف الفضائل عن فرط تحزب وتألف على فئة الرذائل . فيقبح في اللفظ إفذاع وإقراع ويرسم في باب همزهم تمكين مد وإشباع . لا جهلا بموقع الإغضاء من أخلاق ذوي الألباب ولا ميلاً إلى ما عابه الشرع من مذموم الاغتياب . وإنما هو لغرض صحيح لا يرمي بسهم التقبيح. وهو إعطاء ذي

الحق حقه . وأن لا تكون الفضائل لغير أهلها مستحقة فيكون الفاضل في الوصف مبخوساً ويرى الناقص في غير منبته مغروساً. وقد يردع المسيء عن إساءته ما يرى ويسمع من مساءته. ومن التأديب كل ما كف المرء عن زللّه ونية المؤمن أبلغ من عمله. وعلى أني يعلم الله قلما أمتعض لنفسي وان جد في غرضها عنسي وما أقريت قلمي بالانتصاف و لا عملته في ذكر ذميم الأوصاف إلا لحرمة من الفضل أشلاؤها مجزعة أو وظيفة من الشرع أحكامها مضيعة وقد حدثنا الشيخ الفقيه المحدث عالم الديار المصرية تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي ابن وهب القشيري إملاء من لفظه بمنزله من دار الحديث الكاملية بقاعدة مصر مجدها الله تعالى قال قرأت على الفقيه المفتي أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي وكان من سلاطين العلماء صليبا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الحافظ أبي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي قراءة عليه قال أخبرنا علي بن مسلم بن محمد السلمي، قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي حديد السلمي، قال اخبرنا جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي حديد ، قال أخبرنا أحمد هو أبو الفضل بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي ، قال حدثنا المؤمل

هو ابن شهاب قال أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال أول من قدم الخطبة مروان فقام إليه رجل. فقال: يا مروان إن خالفت خالف الله بك. فقال: يا فلان أترك ما هنالك . فقام أبو سعيد الخدري فقال أما هذا فقد قضى ما عليه . سمعت رسول الله،صلى الله عليه وسلم، يقول: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان. وليس نكراً في هذا الزمان قدح من يقدح وإنما النكر مدح من يمدح. لأن الصدق محمود بكل لسان والكذب مذموم من كل إنسان. والأمر في ذلك كما أنشدني الشيخ الأستاذ الفاضل محي الدين أبو عبد الله المازوني بالاسكندرية لنفسه«وافر» :

قل لأهل الزمان حاشان مما أصبحوا فيه من مساق سواء

ما على شاعر هجاكم ملام هل رآكم أحسنتم فأساء

كان من قد مضى يعلمنا المد ح وأنتـم تعلـمونا الهجاء

وقد تعطل في هذا العصر موسم الأفاضل. وتبدد في كل قطر نظام الفضائل وتفرق أهلها أيادي سبا. وصاروا حديثا في الناس مستغربا. فعادوا اسما بلا مسمى وحرفا ما دل على معنى . فالمحدث

عنهم في مشرق أو مغرب كالمحدث عن عنقاء مغرب. ولو طاب الورد لحمل الري وقديما قال أبـــو العـــلاء المعري«وافر»:

ويقال الكرام قولا وما في الأر ض إلا الشخـــوص والأسمـــاء

وكيف لا تكون الدنيا على ما أصف وأقول وعلى وفق المشاهد من ذميم أوصافها والمنقول. وقد صار الملك الذي هو نظام الأمور وصلاح الخاصة والجمهور في أكثر الأرض منقوض الدعائم مهدوم القوائم. يدعيه كل غوي كالمليكيشي وعبد القوي. رضوا باسم الملك وان فاهم معناه وادعوه وماهم منه الا أسماؤه وكناه. لا يأمن بهم طريق ولا يستنقذ بهم غريق . و لا يذكر منهم أصيل في المجد عريق. لا تندى أكفهم بنائل. و لا تصون عن الابتذال وجه فاضل. و لا ينصف بهم مظلوم . ولا يقرع بأسيافهم ظلوم . أو ليس من الأمر الأمر الخارج عن كل قياس ان المسافر عندما يخرج عن أنظار مدينة فاس لا يزال إلى الإسكندرية في خوض ظلماء و خبط عشواء لا يأمن على ماله ولا على نفسه. و لا يؤمل راحة في غده اذ لم يرها في يومه وأمسه. يروح ويغدو ولحمه على وضم. يظلم ويخفى ويهتضم. تتعاطاه الأيدي الغاشمة وتتهاداه الأكف الظالمة. لامنجد له ولا معين . ولا ملجأ يعتصم به المسكين فيستنجد

ويستغيث وأنى له بالمنجد المغيث. ينادي وهـــو في قيد المـــظالم يرسف . ألا ناصر ينجد . ألا راحم يرؤف ويتذكر ملك البرين فيقرأ يا أسفا على يوسف «طويل»:

فمن مبلغ علياه عنـــي من نظمـــي ... رسالة مستعد شكـــا ظلمة الظلـــم
ضعيف القوى أودت بانضاء جسمه ... فياف برت أهوالها مصمت العظـــم
مهامه ينضين الفنيق وان قضـــت ... على ابن سبيل والت الجور في الحكم
إذا ضافها ضيف قرتـــه بلحمـــه ... فلم يعدها الا عريا مـــن اللحـــم
وخيم فيهـــا كـــل فـــظ إذا رأى ... بنية شخص لم يكفكف عن الهدم
يرى ان حكم النبت والناس واحد ... فما ينثني فيهم عن الخضم والقضم
ويرتاح للحجاج حيـــن يراهـــم ... كليث طوى منه الطوى راح للضغم
فكلهم السفـــاف وهو بشؤمـــــه ... علـــى قبره كوم عظيـــم من الرضم
وأعجـــب من هذا ملوك بزعمهم ... وجودهم في الأرض شر من العـــدم
رضوا بسأم لا محصـــل عندهـــا ... كطفل يرضـــى بالمحـــال من الزعـــم
إذا استصرخ المظلوم منهم معظما ... فقد طلب الفتوى إلى غير ذي علم
وان يشك مضطرا إليهم فقد شكا ... إلى غير ذي فضل فتى غير ذي فهم
ألا لا تطل شكوى فلست بمشتك ... إلى ملك البرين وأسكت على رغم
فذاك الذي أفنى الطغاة بسيفـــه ... فلـــم يبق منهم من يشير إلى ظلـــم
أبادهم حتى غدا الغرب حضـــرة ... مطهرة من كـــل عيـــب ومن وصم
بذكراه فلهـــج تعتصـــم بسعوده ... إذا أنت لم تعصم بسيف لـــه يصـــم
هو المرء يغني حين يعطي وان يصل ... تقل دكت الدنيـــا ولم يبق من رسم

إذا احتال مغتال بسـم عـدوه فصارمـه الهنـدي يغني عن السم

و ان دان ذو ضعف بكيد مكتم فبالسيف يمحو الكيد لاكن بلا كتم

له صارم يدنـو بعيـن محـدق إلى كل من يخطر له الشر في وهم

أراق دماء الظالمين فقد غـدت على حلة العلياء أبهى مـن الرقـم

ترى سيفه في الحرب يهدي ويهتدي إذا ضل ما يرمى وضل الذي يرمي

إذا رص في أمـر بنـاه عزيـة فلا تخش من وهي ولا تخش من ثلم

يوافيك منـه وافيـا أو معاديـا غمام يروي أو حسـام لـه يصـم

لئن عذبت في السمع أمداح مجده فان نداه الجم مستعـذب الطعـم

وإمـا جرى درا نظامـي فانهـا فضائلـه طراً ومالي سوى النظـم

لقد لذ حتى قلت ان كنت ابتغي ثوابا بـه فهو النهايـة في الظلـم

ينيـل يساراً من غدا الفقر حلفه ويولي افتقـاراً مـن تمول بالغشم

ولا غرو في الضدين ان جمعا بـه غنى وافتقـارا هكذا حالـة اليـم

يقيم بطبع الفضل أوزان نظمـه فقد صين من كف لديه ومن حـزم

وليـس يعد الغنم مـا لا يحوزه إذا عده ذو البخل مـن أعظم الغنم

ولكنهـا نفـس عتت وتجبرت فحظهمـا وطنـي المقيـد للهـدم

فصيـرها مملوكـة بعد ملكهـا وحـط علاها وهي أبعـد من نجـم

وعوضها من عـزة الملك ذلـة ومن صحة الأحوال منهكـة السقـم

إذا حل عزم الأمر حزم بدا لـه وما الحزم كل الحزم في صحـة العـزم

طغى الكفر حتـى صده بجيوشه كمـا صد ذو القرنين يا جوج بالردم

بحمر وشقر كالدنانيـر لونهـا وشهب كبيض الصحف أو لونها ينم

وقد سددت بالخوف منها عداتها فلم ترهـا جمعـاء إلا مـن الدهـم

فكم بطل حلف الأباطل أبطلت وكم خرمت من قد تجرم بالجرم
وكم نصبت إذ أنصبت رفع فاعل وألقت على أفعاله عامل الجزم
وكم مارد مهما غدا انقض نحوه شهاب من الفرسان أقصد من سهم
وكم صف صف في السلاسل منهم كما صف في الأرباق حاشية البهم
توزعهم ريب الزمان توزعا أرى حاسب الأعداد كيفة القسم
فأموالهم للنهب والأهل للسبا وأرواحهم للنار والجسم للحطم
كذا يبتنى المجد الرفيع وهكذا تضم خصال المجد في نسق النظم
فيا أيها الساري المعد لأرضه ليهنك أمن في ذراه من الظلم
ويهنيك أن تحظى بقرب جنابه فتأمن من عرب هناك ومن عجم
حنانيك أبلغ نحوه لي رسالة تبلغ شكوى مسترق من الهم
وشد بالذي حبرته من مدائح يفوق بها الياقوت در من الكلم
مدائح يختال الزمان بذكرها صحائح ما ترمي بزور ولا إثم
إذا برزت في حلبة الشعر برزت وحاز سواها نعتي السكت واللطم
كعاب إذا لاحت سبت كل ناظر فيسلو بها عن ذكر هند وعن نعم
إذا جليت قام العيان بمدحها فأظهر تفنيد المشير إلى الذم
ولم ألف في مصر و لاالشام كفؤها فأطرقت إطراق الشجاع من الغم
فأبلغ بها نلت الأماني أمانة و لا تظلمنها بابتذال و لا كتم
إلى الملك السامي صعوداً على الورى وليثهم في الحرب و الغيث في السلم
إلى من له كف إذا المزن أخلفت فما أن تزال الدهر ساجمة همم
إلى فاضل أعي الأفاضل شأوه فمن مثله الدنيا أصرت على عقم
إلى يوسف سيف الاله الذي أتى لحسم العدا أن الحسام من الحسم

فدام ودامت في الصعود سعوده هنيئا لمن يسمو له كـل ما يسم
مرقى موقى مستجـارا مؤمـلا منيراً مبيـراً للظـلام وللظلـم
عليا كريم السعي يرجـى ويتقـى مفيداً مبيداً في رضاه وفي الرغـم
مصون العلا ما ضم در مديحـه ورصع في بدء الحديث و في الختم

وهذه الرحلة بدأت بتقييدها في تلمسان ولم يمـكني إظـهارها هـنالك و أظهرتها بعد خروجنا منها. ووقف عليها شيوخنا بمصر وغيرها. وكان شيخنا زين الدين بن المنير حفظه الله يستحسن ما يقف عليه منها. وقد أكملتها و الحمد لله منتظمة على نسقها ومستنة في سننها. جاريا معها حسبما جرت مستمليا لها فيما قدمت وأخرت . حتى استوفى الغرض المطلوب . وحصل المراد منه والمرغوب و بالله أعتصم وأستعين وهو خير عاصم ومعين وإياه أستهدي الصواب واستكفي ما يصح وسيم بالعتاب إنه بنجح المطالب كفيل . وهو حسبنا ونع الوكيل كان سفرنا تقبله الله تعالى في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة . ومبدأه من حاحة صانها الله . وكان طريقنا على بلاد القبلة. فزرنا بموضع آنسا من أعلى بلاد السوس الأقصى قبر الشيخ الصالح أبي حفص عمر بن هارون وهو من كبار الأولياء ومن عظماء الصالحين

نفعنا الله بهم ذكره صاحب كتاب التشوف وبالغ في الثناء عليه . وذكره الشيخ الفقيه الصالح أبو سعيد الحاحي المترازي في كتابه منار العلم. أنه كان يدخل عليهم في الدرس فيقول تهنئكم عبادة القلوب والألسن والأيدي والأعين. يعني العلم وهو كلام من أيد بالتوفيق وأمد بالتحقيق. وحضر معنا زيارة قبره جماعة من الصالحين. ورأينا من حضور القلوب عنده ما قوى الرجاء في نيل بركته. وفي أول سفرنا دخلنا مسجد الصلاة للظهر. فوجدنا به ألواح صبيان المكتب. فنظرنا فيها تبركاً بها. فوجدنا في أول لوح منها «من يتوكل على الله فهو حسبه». وفي الثاني :« ومن يتق الله يجعل له مخرجا» . وفي الثالث :« فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين» . وفي الرابع:« وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا». وفي الخامس:« يوفون بالنذر». وفي السادس:« قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا». فسررنا باتفاقها على الإشارات إلى البشارات وحمدنا الله على ذلك. وبعد ليلتين أو ثلاث رأيت في المنام الفقيه القاضي الإمام أبا الوليد الباجي رحمه الله . فخطر لي أن أقرأ عليه شيئا من كلامه فما حضرني إلى قوله«متقارب»:

إذا كنت أعلـــم علمـــا يقينـــا بأن جميـــع حيـــاتي كساعـــه
فلـــم لا أكـــون ضنينـــا بهـــا وأجعلها في صـــلاح وطاعـــه

فقرأهما عليه . وأما بلد آنسا جبره الله . فهو بلد منفسح منشرح في بسيط مليح طيب التربة يغل كثيرا. وبه ماء جار كثير ونخل وبساتين . وهو آخر بلاد السوس من أعلاه. متصل بالجبل مشرف على أرض السوس . وكان فيما مضى مدينة كبيرة فتوالت عليها الخطوب المجتاحة ونزول الأقدار المتاحة حتى صارت رؤيتها قذى في المقلتين. وعادت بعادة الزمان أثراً بعد عين فليس بها إلا رسوم حائلة و طلول ماثلة خلت من كل قارئى و مقروء عليه وقاصد ومقصود إليه.بيد أن بها صبابة من أهل الدين وفرقة بأخلاق أهل الخير.تدين على ما يتناولهم من ايدي المعتدين ويتداولهم من أيدي المفسدين كشف الله عنهم تلك البلوى وحسم الداء الذي أدبل نضراتهم وأذوى. ثم سافرنا منها على بلاد القبلة. وهي بلاد مات فيها العلم وذكره حتى صارت العادة في أكثرها أنهم لا يتخدون لأولادهم مؤدبا. و لا تسمع في مساجدهم تلاوة واذا طرأ عليهم من يحفظ من القرآن آجروه على الإمامة. و يواظبون على الصلاة في الجماعة إذ لا يحفظ أحد منهم ما يصلي به إلا النادر. ولكنهم في

الغاية من حسن الظن بأهل الدين وقوة الرجاء فيهم. وهم أهل ذمام واحترام وحماية للجار وإيواء للغريب على ضد ما عليه أكثر أهل المغرب. وفي أكثر بلادهم حصون مجموعة وأنهار جارية وقل ما تخلو من الحروب والفتن. وربما تحارب أهل الموضع الواحد فيتقاتلون عامة النهار. فـــاذا آواهم الليل آووا إلى بيوتهم لا يهيج أحد منهم صاحبه. وربما تقاتلوا على السقوف واذا فرغوا نزلوا عنها إلى بيوتهم . وقد رأيت عندهم في هذا أعجوبة. وهي أن أهل حصن منهم تحاربوا فأجمعوا رأيهم على أن لا يتقاتلوا في الحصن احتياطا عليه من الفساد زعموا وجعلوا المعترك خارج الحصن على مسافة منه. ونصبوا لذلك حدودا وأعلاما فهم يتقاتلون من ورائها. فإذا آوتهم حدود الحصن لم يرم أحد منهم حجرا. واجتمع يقاتل حميمه لا يعرض له فإذا خرجوا من حرم الحصن اشتعلت نار الحرب بينهم. هذا دأبهم لا يغدرون و لا ينقصون وخافوا إفساد حصنهم ولم يخافوا فساد كونهم واستباحوا ما حرم الله من قتل النفس. وامتنعوا من خرم ما شرعوه بينهم من قانون السخف. وكل مستعمل وميسر لما خلق له. لاجرم أن فيهم آحادا لابأس بهم. وخصوصا من جال منهم وراء الناس. وعامتهم جاهلية الطباع ولكن مكارم الأخلاق عامة لأكثرهم

وقد سمعت سيدي الفقيه الجليل الفاضل أبا بكر بن عبد العزيز رحمه الله يحكي عن والده الشيخ الصالح القدوة أبي محمد و كان دخل بلاد القبلة أنه كان يقول: الغرب دنيا بلا رجال والقبلة رجال بلا دنيا. أو كلاما هذا معناه. وانما يعنى مكارم الأخلاق مع أن عيشهم غير متسع كاتساعه في الغرب.

وما زلنا في كنف لطف الله تعالى وتحت ذيل عنايته لا يهيجنا أحد إلا رده الله عنا خاسئا حتى انفصلنا عنها في أزيد من ثلاثين مرحلة ولما انتهينا إلى المفازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقها منقطعاً مخوفا لا تسلكه الجموع الوافرة إلا على حال حذر واستعداد. وتلك المفازة مع قربها من أضر لا يسلم منهم صالح ولا طالح. ولا يمكن أن يجوز عليهم إلا مستعد يتفادون من شره. وطلائعهم أبدا على مرقب لا يخلو منها البتة. أطلع الله عليهم من الأفات ما يسحتهم جميعا أصلا وفرعا. ويقطع دابرهم أفرادا وتثنية وجمعا حتى يكونوا آية للمعتبرين وعبرة للناظرين بعزة الله وقدرته وحوله وقوته. وكنت حينئذ لا تمكنني الإقامة حتى أجد صحبة لغرض كان لي. فأزمعت أن أترك بعض الأصحاب بما كان معنا من النفقة منتظراً للصحبة. وأنصرف أنا مخاطراً بما تدعو الحاجة إلى استصحابه. فبينما

أوصي من أردت إقامته منتغصا بهذا الحال وأعرفه بما يصنع إذ وقف علينا جماعة رجال متسلحين عارفين بالطرق عازمين على اعتساف المجهل. فاستربت بهم ثم قوي في نفسي أن ذلك لطف من الله تعالى وغوث أتاحه لنا . فسرنا معهم فلما وصلنا إلى موضع تحقق الخوف وهم لا يعرفون سوى الجادة المخوفة خطر لنا أن نخاطر في ركوب متن الفلاة بلا دليل وذلك حين غروب الشمس. ولما حصحص اليأس وتحقق في الرأي الالتباس . وصل من اللطف معهود الألطاف
وعاد م عطفه علينا انعطاف فوقف علينا خمسة أشخاص أثر فيهم الجؤوب وعلا على ألوانهم الشحوب عا نقوا البراري والقفار. حتى أخلصهم خلوص العسجد بالنار . وتخوفهم الخوف المطير للوسن كما تخوف عود النبعة السفن. فسألونا عن الوجهة فاخبرناهم واستدعونا للمرافقة فاجبناهم وساروا بنا في مجاهل يضل بها الدليل. ويذهل فيها الخليل عن الخليل. وفيهم رجل أدل من سليك المقانب وأمضى من المرهف القاصب يطبق مفاصل القفار وينصلت من المجاهل انصلات المجلى من النقع المثار كالسهم مسددا إلى عرض الفلاة. والجارح منقضا على الحومات. لا يستدل بنجم ينظر فيه و لا يعرف نعشا ولا بنيه. ولا يتقي أن يسهو مع من سها. فيذكره سهيل

أو السها. يتبدل النجم فيقف وقفة الحيران. وربما عن له المسير فناء كالنشوان. وهو يشق أديم البهماء كما شق البرق حندس الظلماء. تحسده النجوم فتلاحظه بطرف كليل وتغاربه الريح فتتنفس بنفس عليل. حتى قطع بنا تلك المفاوز واكتسينا بحمد الله برود الأمن بعد تلك المعاوز. والحمد لله الذي كلت الألسن على مدى حمده حمدا يستنفذ مداده البحلر في مده. ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت به زمانة الزمان. وأخلت به حوادث الحدثان. فلم تبق به علالة. ولا تبصر في أرجائه للظمئان بلالة. وقد شاهدت جمعا من الحجاج ينيفون على الألف وردوها فوقفوا إلى ملكها. فاعطاهم دينارا واحدا. وأغرب من هذا ما شاهدته من منصور صاحب مليكش. وهو أن جماعة من الحجاج نحو العشرين وقفوا إليه في محلته عند بيته فكلموه في عشائهم فرحب بهم. واحتفل في السلام عليهم. ثم أخذ ينادي يا أهل الدوار هؤلاء ضيفان الله. من يحمل منهم إلى بيته واحدا وجعل يكرر ذلك كما يصنع المدرون أهل المدر. فلما لم يجبه أحد منهم ولى عنهم ووراءه جمع كثيف من الفرسان وهو سلطان تلك الواحي. وتلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور. ولها جامع عجيب مليح متسع.

وبها أسواق قائمة. وأهلها ذوو ليانة. ولا باس بأخلاقهم. وبظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعباد وهو مدفن الصالحين وأهل الخير. وبه مزارات كثيرة. ومن أعظمها وأشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله ورضي عنه ورزقنا بركته. وعليه رباط مليح مخدوم مقصود والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار. وسوره من أوثق الأسوار وأصحها. وبه حمامات نظيفة ومن أحسنها وأوسعها وأظفها حمام العالية وهو مشهور. قل ان يرى له نظير. وهذه المدينة بالجملة ذات منظر ومخبر وأقطار متسعة ومبانيها مرتفعة ولكنها مساكن بلا ساكن. ومنازل بغير نازل. ومعاهد أقفرت من متعاهد. تبكى عليها فتسكب الغمام الهمع وترثي لها فتندب الحمام الوقع أن نزل بها مستضيف قرته بؤسا أو حل فيها ضعيف كسته من رداء الردى لبوسا. وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد. وغاضت أنهاره فازدحم على التمادي. فما ظنك بها وهي رسم عفا طلله. ومنهل جف وشله. وقد حظرت بها مدرسا مذكورا عندهم يقرأ عليه باب التوكيد منن الجمل. فسمعته يقول: كلا للمذكرين وكلتا للمذكرتين وأعربوا قول ابن دريد:«هم الذين جرعوا من ما حلوا» بانهم مبتدأ والذين مبتدأ ثان وجرعوا خبره والجملة في موضع

خبر الأول وهذا قليل من كثير. وصبابة من غدير. وأما الفقيه عندهم فطويل الاغتراب يئوب اذا ما الغارض المغتر آب. وقد تحاكم إلى قاضيها اذ كنت بها متبائعان في ذهب رديء فحكم بما قيل في ذلك من يمين المبتاع على علمه فحلف وبريء ثم أتى البائع بعد أيام بم شهد له أن صاحبه انما دفع له سكة فاس وكان الذي تداعيا فيه من سكة فاس. فاحضر المبتاع ووبخه بانه حلف آثما. وأنه قد ظهر كذبه وحكم عليه بابدال الذهب. والى هذا انتهى بالعلم وأهله الحال. وحسبنا الله وعليه الاتكال. ومع ذلك فلو انتهت خطة القضاء إلى عليان أو مانى لم تكن في الشناعة كانتهـــائها الى العمراني بحضرة مراكش كلأها الله و لا كلأ القاضي المذكور حياً وميتاً فانه منجنيق ظلم ترمى به قواعد الدين. ونفط فساد يضرم قلوب المهتدين. وقد ونق الله لحصد شوكته واخماد جمرته أمير المؤمنينأيده الله فأغمد من جوره سيفا قاطعا. وعوض المسلمين من ظلامه ضياء ساطعا ومن بعض غرائبه التي شاهدتها أن قوما أدعي عليهم القتل واثبت المدعي دعواه بوثيقة عليها اعلامه بصحتها. فاحتجوا بان لهم مدفعا. فطلب المدعى تثقيفهم كما يجب شرعا فقال له القاضي: هؤلاء كبراء الناس وأعيانهم وممن لا يتغيب وهذه سنة إسرائيلية

أحياها هذا اللعين لا حياه الله و لا صفح عنه فما أعظم جرأته على الله عز وجل.

أخبرنا الشريف الفاضل الصالح المحدث أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني الغرافي بثغر الاسكندرية عن الشيخ الصالح المحدث أبي الحس علي بن أبي بكر القلانسي ويعرف بابن روزبه عن الامام أبي الوقت عبد الأول ابن عيسى بن شعيب الشنجذي عن ابن الحسن عبد الرحمان بن محمد الداودي البوشنجي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عن البخاري قال: ناعلي ناسفيان قال: وجدت في كتاب كان كتبه أيوب بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أن امرأة من بني مخزوم سرقت. فقالوا من يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها : فلم يجترئى أحد أن يكلمه . فكله أسامة بن زيد. فقال: أن بني اسرائيل كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه. لو كانت فاطمة لقطعت يدها. وما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم و لامن يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد االله محمد بن عمر بن محمد بن خميس وهو فتئى السن. مولده عام خمسي. وله

عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين عليه. وحظ وافر من الأدب. زطبع فاضل في قرض الشعر. وكنت ألفيت الشيخ الفقيه أبا اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي واخاه أبا الحسن مسافرين إلى المشرق وهما من سكان تلمسان وليسا منها. فقيهان مشاركان في العلم مع مروءة تامة ودين متين. وأبو اسحاق أسنهما و أسناهما. وهو ذو صلاح وخير. وكان شيخنا زين الدين أبو الحسن بن المنير حفظه الله يثنى عليه كثيراً. وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رغبة أهله في العلم.فقال: أما بلاد يكون فيها مثل أبي اسحاق التنسي فما خلت من العلم وقد أدركتهما بمصر. وكان أبو الحسن لم يحج. فحج معنا فلقيت منه خيراً فاضلا. وقد لازم شيخنا أبا الفتح بمصر مدة. واخذ عنه كثيراً ولما حج رجع مع أخيه إلى تلمسان. وكنت حي وردتها قد أقمت بها مدة منتظرا الركب فكنت آنس بابن خميس. واكثر مجالسته ومفاوضته واعجبني ذهنه وحاله فاني وجدته على حال انزواء وتقلل من الدنيا وفي أول ما اجتمعت به رأى في يدي كتابا. فسألني عنه. فقلت هو كتاب الشمائل فاستظرف امساكي له. وقال لي أخبرني الفقيه أبو عبد الله محمد بن حمدون. قال لي أخبرني الفقيه أبو زيد بن القاضي بتونس أن أبا محمد بن حوط الله ورد على أبيه.

فانزله بداره. وكان يبيت في سريره ومعه خريطة لا يفارقها. وكانت تفوح منها رائحة المسك. قال: وكنت أهاب أن أسأله عما فيها فرقد ذات يوم. فسقطت عن السرير ووقع منها كتاب شمائل النبي صلى الله عليه وسلم . وقد أنشدني ابن خميس كثيراً من شعره. فمن ذلك قوله من قصيدة«كامل»:

ومن العجائب أن أقيـــم ببلـــــدة	يوما وأسلم من أذى جهالهـــا
شغلـــوا بدنياهـــم اما شغلتهـــم	عني ؟ فكم ضعيت من أشغالها
حجبـــوا بجهلهم فان لاحت لهـــم	شمس الهدى عبثوا منهـــا بآلهـــا
وان انتسبـــت فانني من دوحـــة	تتقيل الأنســـاب برد ظلالهـــا
من حمير من ذي رعين مـــن ذوي	حجر من العظماء من اقيالهـــا
وإذا رجعت لطينتي معنـــى فمـــا	سلسالهم بأرق من صلصالهـــا

ومن ذلك قوله«طويل»:

أنبت ولكن بعد طـــول عتـــاب	وطول لجـــاج ضـــاع فيه شبابي
ومازلت والعلياء تعنى غريمهـــا	أعلل نفســـي دائمـــا بمتـــاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه	يلذ طعامي أو يســـوغ شرابـــي
خدعت بهذا العيش قبل بلائـــه	كما يخدع الصادي بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة	وما هو الا السم شيب بصـــاب
وما صحبوا الدنيا كبكر وتغلب	ولا ككليب رىء فحل ضـــراب
اذا كفت الأبطال عنها تقدموا	أعاريب غـــرا في متون عـــراب

وأن ناب خطب أو تفاقم معضل ... تلقاه منهم كل أصيد نـــاب
تراءت لجساس مخيلـــة فرصـــة ... تأتت له في جيئـــة و ذهـــاب
فجاء بها شوهـــاء تنذر قومهـــا ... بتشييد أرجـــام وهدم قبـــاب
وكان رغاء الصقب في قوم صالح ... حديثا فانساه رغـــاء ســـراب
فمـــا تسمع الآذان في عرصاتهـــم ... سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه ... وعن ببيته في جعفر بـــن كلاب
وكانت على الأملاك منه وفـــادة ... اذا آب منها آب خيـــر مـــآب
يجير على الحييـــن قيس وخنـــدف ... بفضل يسار أو بفضل خطـــاب
زعامـــة مـــرجو النـــوال مؤمـــل ... وعزمة مسموع الدعـــاء مجـــاب
فمـــر يزجيهـــا حواســـر ظلعهـــا ... بما حملوهـــا مـــن منى ورغـــاب
إلى فدك والمـــوت أقـــرب غايـــة ... وهذا المني يأتى بكـــل عجـــاب
تبرض صفو العيش حتى استشـــفه ... فداف له البراض قشب حبـــاب
فأصبح فـــي تلك المواطـــن هـــزة ... لنبش ضبـــاع أو لنهش ذئـــاب
وما سهمه عند النضـــال بأهـــزع ... ولا سفيه عند الصـــراع بنـــاب
ولكنها الدنيا تكـــر علـــى الفتـــى ... وان كان منها في اعـــز نصـــاب
وعادتهـــا أن لا توســـط عندهـــا ... فأمـــا سمـــاء أو تخـــوم تـــراب
فلا ترج من دنياك ودا وان يكـــن ... فمـــا هو الا مثـــل ظل سحـــاب
وما الحزم كل الحزم الا اجتنابهـــا ... فاشقى الورى من تصطفى وتحابى
أبيت لها ما دام شخصي أن تـــرى ... تمـــر ببابـــي أو تطـــور جنابـــي
فكم عطلت من أربـــع وملاعـــب ... وكم فرقت من أســـرة وصحـــاب
وكم عفرت من حاسر ومدجـــج ... وكم اثكلت من معصر وكعـــاب

مثالب مثل الرمـــل لا تقـــل أنهـــا تعد فتحصيها ضـــروب حســـاب

إليكم بني الدنيا نصيحـــة مشفـــق عليكم بصيـــر بالأمور نقـــاب

طويل مراس الدهر جذل مما حك عريض مجـــال الهـــم حلس ركـــاب

تاتت له الأهوال أدهـــم سابقـــاً وغصـــت به الأيام أشهـــب كابـــي

ولا تحسبوا أني على الدهر عاتب فاعظـــم مـــا بي منـــه ايسر مـــا بي

وما أسفـــي الا شبـــاب خلعتـــه وشيـــب ابي الا نصـــول خضـــاب

وعمر مضى لم أحل منه بطائـــل سوى ما خلا من لوعـــة وتصابـــي

ليالي شيطاني على الغـــي قـــادر واعـــذب شيء محنتـــي وعذابـــي

عكسنا قضايانا على حكم عادنـــا وما عكسها عنـــد النهي بصـــواب

على أحمد المختار أزكـــى تحيتـــي فتلك التي أعتـــد يـــوم حســـاب

فتلك عتادي أو ثنـــاء أصوغـــه كدر سحـــاب أو كـــدر سخـــاب

قلت: هذه القصيدة مهذبة الألفاظ والمعاني وألـــذ من نغمات المثالث والمثاني، إلا أن مقطعها قلق ناب. لا يلين ولو مضغ بضرس وناب ليس يلتئم بما قبله ولا يمتزج. ولا يزال السمع به يقلق ويترع وقد زاولته أن يلتحم فابى. وحاولته كي يلتئم فنبا وقوله فاما سماء أ تخوم تراب. الوجه فيه وإما تخوم تراب بتكرير إما بعد حرف العطف. وقل ما يؤتي بها غير مكررة إلا نادرا. كقول الشاعر «منسرح»:

اما فتى نـــال العلى فاشتفـــى أو بطـــل ذاق الـــردى فاستـــراح

وأنشدني أيضا لنفسه قصيدة مها قوله «وافر»:

ويا برقا أضاء على أوال يمانيا متى جئت الشناما

أثغر أمامة أنت ابتساما أم الدر اللآلي انتظاما

خفقت ببعض واديها لـواء ولحت على ثنيتها حساما

أمشبه قلبي المضنى احتداما على ماذذت عن جفني المناما

لم أصهرتني وصددت عني خيالا كان يأتيني لماما

وأبلغ منك تأريقا لجفني كلام اثخن الاحشا كلاما

تعرض لي فأيقضت القوافي ولو ترك القطا ليلا لناما

أضام وفي يدي قلمي لماذا أضام بغير جرم أو على ما

به وبما أذلق من لساني أفل الصارم الغضب الهداما

خليلي ان قدرت فلا تكلني لدهر علم الشح الغماما

وردت فلا أرد الا سرابا وشمت فلم أشم إلا جهاما

قلت أنكر غير واحد أن يقلل الشئام بالمد في غير النسب وليس انكاره بشيء وهو ممدود في شعر حبيب وقد ردوه و لم يروه حجة ونسوا قول النابغة الذبياني «وافر»:

على إثر الأدلة والبغايا وخفق الناجيات من الشئام

ويروى من السئام بالمهملة جمع سامة. والحجة في الرواية الأولى. وكذلك انكروا تشديد الياء من اليماني. لأن الألف كالعوض

من التشديد. كما رأوا المد بزعمهم في شئام عوضاً من تشديد يا
النسب وإذا جاز مده في غير النسب جاز تشديد الياء مع المد. وقد
انشد المبرد على تشديد ياء اليماني مع زيادة الألف «طويل»:

فارعد من قبل اللقاء ابن معمر وابرق والبرق اليماني خوان

وهذا البيت أيضا شاهد لمن قال أرعد وأبرق بالألف أي تهدد
وأصله من الرعد والبرق. وقد أنكره بعضهم بالألف. وقال: إنما هو
رعد وبرق بغـــير ألف، وكذلك رعدت السماء وبرقت. والصواب
انهما لغتان. وأشهرهما بغير ألف وعليها قول الشاعر«كامل»:

فإذا حللت ودون بيتي ساوة فابرق بأرضك ما بدا لك وأرعد

وقوله على ماذدت الوجه فيه حذف الألف لازما لأن ما
الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر حذف منها الألف لكثرة
الاستعمال وفرق بينها وبين الخبرية قال الله تعالى:﴿ **فيم أنت من ذكراها**﴾ وقال جل شأنه : ﴿**فيما هم يختلفون**﴾ ولو حذف الألف
منها لصح الوزن. وكان معقولا ولكنه زحاف قبيح. ولو قال﴾
صددت أو طردت أو تذوذ أو نحو ذلك لسلم من الوجهين معا
وتخلص من الضرورتين جميعا. بالله تعالى التوفيق. و أنشدني أيضا

للفقيه الأديب الكاتب الأبرع أبي بكر بن عبد الله بن داوود بن خطاب المرسى مما أنشده اياه لنفسه((كاملا)):

أبصرت أبواب الملوك تغص بـــ ـــالراجلين ادراك الغنا والجـــاه

مترقبين لهــا فمهمـــى فتحـــت خروا لاذقان لهـــم وجبــــــاه

فانفت من ذاك الزحام واشفقت نفسي على انضاء جسمى الــــواه

ورأيت باب الله ليس عليه مـــن متزاحم فقصدت بــــــاب الله

وتخذتـــه مـــن دونهم لي عـــدة و افقت من غيبي وطول سفـــاه

وأنشدني أيضا عنه ونقلته من خط ابن خطاب قال ومما نظمته والتزمت فيه حرف الراء والترصيع((رجز)):

أشكـــر لربـــك وانتظـــر في أثـــر عســـر الأمر يسرا

واصبـــر لكربك وادخـــر في ستـــر ضـــر الفقر أجرا

فالدهـــر يعثر بالـــورى والصبـــر بالأحرار أحـــرا

والوافـــر أكثـــر معشـــرا والفقـــر بالأخيـــار يغـــرا

قلت: نظام هذه الأبيات يدل على باع في الأدب مديد وطبع فاضل ومقول مجيد. وناظمها رحمه الله متمكن الجلالة معروف الأصالة. لقي جملة من الأفاضل وأخذ عنهم فاضلا عن فاضل. وقد وقفت على بطاقة بخطه قيد فيها لصاحبنا أبي عبد الله جملة ممن لقيهم

من العلماء والصلحاء ونصها يقول محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي وفقه الله: لقيت من الشيوخ ببلدي مرسية أعادها الله تعالى لإسلام الفقيه الأستاذ النحوي أبا بكر محمد بن محمد المعافري الشهير بالقرشي قرأت العربية عليه والفقيه المسن أبا علي الحسن بن عبد الرحمان الكناني الشهير بالرفاء. وقرأت عليه مقامات الحريري ومن شعر المتنبي وأكثرالحماسة. والفقيه العالم المسن أبا بكر محمد بن محرز الزهري وقرأت عليه أكثر التلقي للقاضي أبي محمد عبد الوهاب. وسمعت عليه دولا كثيرة من الموطأ. وقرأت عليه بلفظي كتاب الترمذي كله. وسمعت عليه سنن أبي داوود بقراءة صاحبنا الفقيه أبي بكر بن حبيش. وسمعت عليه السير بقراءة أبي الحسن الدومي المعروف ببلدنا بسحنون وأنشدني جملة من نظمه. من ذلك قوله لابنه الأصفر أبي عامر «خفيف»:

يـــابني وليـــس مثلي يسهـــو عنـــد وعظ يرويـــه مثلك عنـــه
أنت ضيف الدنا فأقلل عيوفـــا من قراها واخش الردى من لدنـــه

ولقيت الفقيه العالم أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ولازمته مدة اقامته بمرسية وقرأت عليه التلقيحات للسهر وردي ومختصر المستصفى للقاضي أبي الوليد ابن رشد المسمى

بالضروري وقرأت عليه بعض التلقين. وكان له عليه كلام حسن وتنبيه على مواضع منه لم أر من تفطن لها سواه. ولقيت الفقيه القاضي المسن أبا عيسى محمد بن أبي السداد وقرأت عليه بلفظي شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب مسلم بن الحجاج من أوله إلى آخره. وكتاب الترمذي. وسمعت بقراءة غيري عليه كثيراً من الكتب. وكان يروى عن الخطيب أبي القاسم بن حبيش. ولقيت الفقيه أبا بكر بن جهور الأزدي وسمعت علية بقراءة أبي القاسم بن نبيل بعض كتاب مسلم بن الحجاج رحمهم الله أجمعين.

وممن لقيته من الرجال الصلحاء بمرسية نفع الله بهم الفقيه أبو العباس الطرسوني كان رحمه الله أحد الزهاد العباد. والفقيه أبو عبد الله السمار المؤدب. كان أحد الفقهاء الفضلاء الزهاد. والفقيه الخطيب بجامع مرسية أبو عبد الله بن فتح والفقيه الورع أبو عبد الله النجار. كان شديد الانقباض عن عشرة الناس. وتؤثر عنه في الورع أخبار حسان رحم الله جميعهم ورضي عنهم. انتهى ما وجدته بخط ابن خطاب رحمه الله. قلت لو قال ابن محرز أنت ضيف الدنيا لقام الوزن وسلم من غرابة هذا الجمع. فان جمع الدنيا غريب نادر. وقد عابه صاحب اليتيمة على أبي الطيب المتنبي في قوله «طويل»:

اعز مكان في الدنيا سرج سابح　　　وخير جليس في الأنام كتاب

وأنشدني بيتين للشيخ الأديب الفاضل أبي الطيب صالح بن شريف الرندي رحمه الله وقد أنشدنيهما عنه أبو العباس الأبلى الكاتب. وكان لابن خميس فيهما نقد لم أرضه. فلم يعلق بخاطري. وذكره لي عن ابن خطاب وأنه لم يرضهما وذلك منهما تعسف بين وهما قوله «كامل»:

نزعات رام وهي نزعـــة رئـــم　　　شقت صميم حشاي قبل أديمي

سلت ظبا الألحاظ مرهفة على　　　قلب أرق من الهوى المكتـــوم

وهذا أغرب ما يكون من الشعر وأرقه وأحسنه لفظا ومعنى. وأنشدني أيضا لابن الرومي متمثلا «كامل»:

لذوى الجدال اذا غدوا لجدالهم　　　حجج تضل عن الهدى وتحـــور

وهن كآنية الزجاج تصادمت　　　فهوت وكل كاسر مكســـور

والقاتل المقتول ثـــم لضعفـــه　　　ولوهنـــه والآســـر المأســـور

وأنشدني أيضاً من حفظه قصيدة لم أقف عليها تامة. وأنشد منها أبو علي في نوادره ابياتا ولم ينسبها وهي قوله « كامل»:

يلقى السيوف بوجهه وبنحره.

الأربعة الأبيات. وكذلك أنشدها أبو عبيد البكري في كتاب التدريب غير منسوبة الا لانشاد العتبي ووصلها بابيات ونسبها في كتابه اللئائي لابن المولى وهو محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف قال وهو من شعراء الدولتين. وقد رأيت أتبث القصيدة هنا بجملتها لحسنها واعوازها وهي قوله «كامل»:

أنسيم ريقك أخت آل العنبـــر	هذا أم استنشاقـــه مـــن عنبـــر
ونظام ثغرك مانـــرى أم لمعـــة	من بارق أم معدن مـــن جوهـــر
أودعتني وجمال وجهك حرقة	ألهبـــت جمرتهـــا بطرف أحـــور
قولي لطرفك أن يرد عن الحشى	لذغات نيران الهوى ثم أهجـــري
وانهى جمالك أن يصيب مقاتلي	فتصيب قومك سطوة من معشـــر
انى من القوم الذين جيادهـــم	هبت على كســـر بريح صرصر
فاثرن نقعا ما انثنت اثتاؤه	حتى تشتت فوق هامـــة قيصـــر
فسلبن تاج الملك غصبا بالقنى	وأجزن باب الدرب آل الأصفـــر
آبائي من كهلان ارباب الورى	وبنو الملوكـــة عمومتي من حميـــر
ضربوا بلاد الصين بالبيض التي	ضربوا بها كسرى صبيحة تستـــر
ولأمن ما بين الشئام وفار س	بالحارث الجفني وابـــن المنـــــذر
أولاد جفنة معشري وكأنهم	آساد غيـــل فوق خيـــل ضمـــر
وطئت ببدر من قريش خيلنا	ساداتها تحت القنـــى المتكســـر
ونصرن في الأحزاب حزب محمد	وكسون موتة ثوب موت أحمـــــر

وطوين يوم الفتح شركاً ظاهراً ونشرن أثواب الهدى في خيبـــــر
وطلعن من أرجى حنين شرفـــا يحملن كل سليل حرب مسعــــر
ما ان يريد اذا الرماح تشاجرت درعا سوى سربال طيب العنصـــر
يلقى السيوف بوجهه وبنحره ويقيـــم هامتـــه مقـــام المغفـــر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنى فعقرت ركن المجد أن لم تعقـــر
واذا الفوارس عددت ابطالها عدوه في ابطالهـــم بالخنصـــر
واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربـــل أثـــواب مجـــد أغبـــر
أومى إلى الكوماء هذا طارق نحرتني الأعداء ان لـــم تنحـــر
فإذا أردت بأن ترى أسد الشرى فدع الذمـــام لمذجج والاشعـــر
كم قد ولدنا من رئيس قسور دامي الاظافـــر أو ربيـــع ممطـــر
سدلت أنامله بقائم مرهف في يـــوم ملحمـــة وذروة منبـــر
ان مر يوم لم يفد أكرومة يعلو الأنام ببعضهـــا لـــم يقـــدر
نحن الذي نذل اعناق العيدا ونعـــز بالمعـــروف ذل المعســـر
ولنا بيعرب بسطة من مفخر لاينكرون حضورها في محضـــر
نرعى الجوار ولا نجور على الورى ويبيت فينا الوفر غيـــر موفـــر
نشرت نشيرا خيلنا عن دارها وتحطمت أرماحنـــا في جعفـــر
دسنا تميما في قرار ديارهـــــا يوم الجفار بكل طـــرف مجفـــر
نقري السديف ضيوفنا ورماحنا في الروع حاضرة القرى للانســـر
واذا المنى وردت على اموالنـــا آبت محملة جميـــل المصـــدر
لو رامت الجوزاء ان تعلو على أعلى ذوائب مجدنا لـــم تقـــدر
قحطان وللدنا وهود جدنـــا بهما غنينـــا عـــن ولادة قيـــدر

قال أبو عبيد البكريّ في قوله يلقى السّيوف بوجهه وبنحره البيت. مذهب أكثر شعراء المدح بلباس الدروع وكمال السّلاح وأنشد على ذلك قول النابغة «كامل»:

سهكين مِنْ صَدَإِ الحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ   تَحْتَ السَّنَوَرَى جَنَّةَ البِقَارِ

وقول مسلم بن الوليد يمدح بعض آل المهلب «بسيط»:

تَرَاهُ فِي الأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ   لاَ يَأْمَنُ الدَّهْرَانِ يُدْعَى عَلَى عَجَلِ

وأنشد على المذهب الآخر قول الأعشى« كامل »:

كُنْتَ الْمُقَدَّمَ غَيْرَ لاَبِسِ جَنَّةٍ   بِالسَّيفِ تَضرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَالَهَا

وممّن لقيته بتلمسان أبو زكريا، يحيى بن عصام وهو رجل متقلل حيي متعفّف له حظّ من اللّغة. ويقرض من الشّعر ما لا بأس به. وكان جار لأبي عبد الله بن خميس فكنت أجتمع به عنده كثيرا. وممّا أنشدني لنفسه قوله « طويل »:

أَلاَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ كَـــأْسٌ مُدَارَةٌ   عَلَى كُلِّ مَنْ قَدْ رَاحَ فِيهَا وَمَنْ غَدَا

وَعَضْبُ رُسُومِ شِيعَ فِي شِيَعِ الوَرَى   وَمَا رِيءَ يَومًا بَعْدَ مَا شِيمَ مُغَمَّدَا

و أنشدني أيضا لنفسه مناقضا لبعض المعتزلة في قوله لّما سمع صاحب الكشّاف ردّا على أهل السّنّة في الرّؤية في قوله «كامل»:

لجماعة سمت هواهـا سنـة وجماعة حمر لعمري موكفـه

قد شبهوا معبودهم وتخوّفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وقال ابن عصام «كامل»:

قل الذي سمّى الهذاة أولى النّهى حمرا لأن سلب الهدى والمعرفة

فغدا يرجح الاعتزال جهالـة ويروقه زور الضّلال وزخرفـه

الحق أبلج واضح لكنّه يغشى عيون أولى الضّلالـة والسّفـه

اخسأ فقولك طائح كهبـاءة طاحت بها هوج الرّياح المعصفه

سوغـت ذمّ جماعـة سنيـة قد أحرزوا من كلّ فضل أشرفه

قطفوا أزاهر كلّ علم نافـع وأتوا بكلّ بديعـة مستظرفـه

قوم هم قمعوا الظّلال وحزبه بمقاول حكت المواضي المرهفـه

هم شيعة الحقّ الّذي ما بعده الأمهاوي في الضّلالـة متلفـه

آراهم يجلو البصائر نورها ويميط أذواء القلوب المدنفـه

أقصر فإنّ شقاقهم كفر فلا تدع الرّشاد لعصبة متعسّفـه

من شذّ عن سنن الجماعة قد غوى جاءت بدا الكتب الصّحاح معرفه

قلت وقد نظم القاضي أبو حفص بن عمر في هذا أيضا فقال«كامل»:

أجعلتم العلماء حمرا موكفه هذا لأنّكم أولوا تلك الصّفه

أجهلتم صفة الإله وفعله ونسبتموه لغيـره بالزّخرفـه

وأردتم تنزيهـة فوقعتـم في الشّرك والإلحاد والأمر السّفه

خالفتم سنن الـنّبيّ وصحبه وتبعتم في الزّيغ أهل الفلسفـه

قلت خفف القاضي رحمه الله الحمد. والتخفيف في فعل مطّرد إلاّ فيما يلبس وهو هنا يلتبس بجمع أحمر فينبغي أن لا يخفف و لم يقرأ في السبع :«كأنهم حمر مستنفرة» الا بالتثقيل ومن هذه الجهة أنكر المحققون اسكان الباء في قوله: صلى الله عليه وسلم« اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث» لما كان اسكانه يلبس بالمفرد. وسيأتي ذكر هذا الحديث ان شاء الله تعالى. ومما عرض لي نظمه بمدينة تلمسان جبرها الله تعالى قولي«طويل»:

تغربت عن أهلي اليك ومالـي وأعرضت عن قيل عداك وقال

تماثل في دنياي اذ أنت مطلبـي محـب لـه شـوق الي وقـال

سموت على قصد اليك بهمـة ترى عيش كسرى مثل عين دلال

ولاحت لي الدنيا فأبصرت عمرها ولو زيد أضعافا كحل عقـال

وما عيشها الا كظل غمامـة وما ملكها الا كطيف خيـال

وهل بعد أن أسدى اليك لطائفا يقصـر عـن تبيانهن مقـالي

وباشر قلبي باليقين مبـردا حرارة أشكـال أخـل بحـال

أرى رافعا صوتيَ إلى غير جاهه وابسط للمخلوق كف سـؤال

أبعد سطوح الشيب في ليل لمتي ... ونأي ضلالي بعد فيء ظلال

أهيم بدنيا ما تساوي قلامة ... وأخضع مرتادا لنيل نوال

أبى ذاك لي قصد إلى الله صاعد ... وعلم سما بي فيه نحو كمال

فها أنا نحو النحو أسمو بهمتي ... وفي اللغو أخطار اللغات ببال

ولا منطقي بطلت في علم منطق ... يعد حساما في مجال جدال

وليس كلامي في الكلام أقوده ... كما قيل صعب للشماس موال

ولا عارضت علم العروض عنايتي ... لاجعله قبان نظم لئالي

وأحسب تدقيق الحساب بطالة ... لأبطال وقت لايرد بحال

ولكنني مهما نحوت تفقها ... خلعت عذاري موضحا لخلالي

الا لست أعني بالتفقه ما حوت ... دفاتر تملا من ظنون رجال

ولكنه فقه علا عن تناقض ... وليس لآراء الورى بمجال

تريد اطرادا منه كل قضية ... أنابيب تنبو في متون عوان

قضايا جلايا مثل ما لاح ساطع ... يصول بجند الليل أي صيال

قضايا اذا وفقت يشفيك حكمها ... والا فلا تعرض لطب عضال

فلست لها في الكتب يوما مطالعا ... ولا سامعا فيه نظام مقال

وفي عقل ذي القلب المتيم رقمها ... يلين به عن كل أنوك سال

فان أنت لم توصل لحال وصالها ... فدعني واياها حليف وصال

وكان رحيلنا من تلمسان بعد المقام المطول لخمس خلون من شهر ربيع الأول فنكبنا عن طريق المدية يسارا. وسرنا لانألوا جدا وانشمارا. ثم وصلنا مليانة وقد ألقى جمل الأعياء جرانه وغنى بلبل

الغناء ألوانه إلى البلدة الخصيبة مليانة وهي مدينة مجموعة مختصرة. وليست مع ذلك عن أمهات المدن مقصرة أشرفت من كثب على وادي شلف. واستشرقت نسيم طرفها من شرق في روضة جمة الأزهار والطرف. برعت في سفح جبل حما حماها أن يرام. وشرعت في أصل شهر شفي الهيم من الهيام. شاق منظراً. وراق مخبرا. وشفى الظماء موردا ومصدرا يشتهي الناظر اليه وهو ريان الشروع. ويقول: لو رش به لافاق المصروع. كان حصباءه جمان والماء من رقته دموع. وبها جامع ملبح عجيب يدعو الشوق من رآه فيجيب. ولكن الزمان قد عوضه من حلي عطلا وادي له من حكمته خطلاً. وابدل هالته السهى من تلك الأقمار. وكساه بعد الحبر الأطمار. واحل حلاله بعد الانس بانسها وحشة العمار. فلو ضرحت في الجوى بالجواب. وافصحت عن وقوع النوى بالنوائب النواب لانشدت باستعجال وقالت بارتجال«طويل:»

زمان لذي عند الشيبة قد عسا	**اعلل فيه النفس علي أو عســى**
لعل ربوعا من حلالها عواريا	**تعود لها تلك المفاخــر ملبســا**
لعل نجوما كنت هالة بدرها	**ستجلو ظلاما حل أفقي فالبســا**
لعل انتظام الشمل يرجع ثانيا	**ويعطف بالاحسان دهر بنا أســا**
رماني زماني بالنوى من أحبة	**لبينهــم عــاد الأنيس معبســا**

نأى عمر الحبر الهمام محاضري	فكيف ألاقي من زمانـــي تأنســـا
وقد حظيت أغمات منه بماجد	تدرع من غر الفضائل ملبســـا
لقد هنت حتى شط عني مزاره	ونالت به أغمات مجداً مؤسســـا
وكنت مقيلا للهداة تؤمـــــه	فصرت لأخلاط الغواة معرســـا
وكنت لباغي والعلم ملتقي	فان شئت مقراة وان شئت مدرساً
وكم كنت للضرغام والظبي مالقاً	أنسيك إن أبصرت خيساً ومكنساً
أراغم ريب الدهر منه بما جد	اذا ضاق خطب أو تفاقم نفســـا
فحللت عن تلك الجلالة حلة	وعوضت عن تلك الأهلة حندسا
فها أنا أشدو أن نطقت تمثلا	وليل همومي قد دجا بي وعسعسا
وبدلت قرحاً داميا بعد صحة	لعــــــل منايانـــا تحولـــن أبؤســـا

وما بقي بها من له بالعلم أدنى عناية. ولكنا قد استفدنا بها حكاية. وهي أن بعض الكتاب كان يكتب كتابا عن أمير. فلما قرأه عليه م يرضه. فمزقه فكتبه ثانية فمزقه. فلما رأى تعسفه أخذ قرطاسا ظم فيه ارتجالا((طويل)):

رأيتك تكويني بمبسم منــــة	كأنك أنت اليوم علـــة تكويـــني
وتلويني الحق الذي أنا أهله	من العيش تكفيني إلى حين تكفيني

ولم آخذ هذه الحكاية ممن أطمئن اليه: أحيل بالعمدة فيها عليه. ولكني قيدتها لتنظر وعرضتها لتخبر فان صحت فهو الغرض والا فكم

ظنت صحة بذي مرض. ثم وصلنا إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر. ويقف على جمالها خاطر الخاطر قد حازت مزيتي البر والبحر. وفضلتي السهل والوعر. لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق. وأبواب محكمة العمل يسرح الطرف فيها حتى يمل ولكنها قد أقفرت من المعنى المطلوب كما أقفر من أهله ملحوب فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب. ولا شخص الى فن من فنون المعارف منسوب. وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربة أو أديب يؤنس غربة. فكأني أسأل عن الأبلق العقوق أو أحاول تحصيل بيض الأوف. ثم وصلنا إلى مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية. وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنية سرية . وثيقة البنيان عجيبة الاتقان رفيعة الميباني. غريبة المعاني موضوعة في أسفل سفح جبل وعر. مقطوعة بنهر وبحر. مشرفة عليهما أشراف الطليعة متحصنة بهما منيعة. فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب. ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب. من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة وهو مشرف على برها وبحرها. وموضوع بين سحرها ونحرها. فهو غاية في الفرجة والأنس. ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس. وأهلها يواضبون على الصلاة فيه

مواضبة رعاية. ولهم في القيام به همهم وعناية. فهو بهم مأهول عامر يتخلل أنسنه مسلك الأرواح ويخامر. وهذا البلد بقية قواعد الإسلام ومحل جلة من العلماء والأعلام. وله مع حسن المنظر طيب المخبر. ومع المراي الرائق المعنى الفائق. ومن الحصانة ووثاقة البنيان ما أزرى بارم وغمدان. ولأهله من حسن الخلق والأخلاق ما أنبأ عن طيب الهواء والماء والتربة والأعراق.

غير أنه اعتراه من الغير ما شمل في هذا الأوان البدو والحضر. قد غاض بحر العلم الذي كان به حتى عاد وشالا. وعفا رسمه حتى عاد طللا. وبه آحاد من طلبة العلم قد اقتصروا على مطالعة الصحف والدفاتر. وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقا لم يرضها أعلاء الأكابر. ولم أر بها من أهل الشيمة الفضلاء والطريقة المثلى أمثل من الشيخ الفقيه الخطيب الصالح المسند الرواية أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي حفظه الله. وهو شيخ على سنن أهل الدين سلك سبيل المهتدين. مقبل على مايعينه. مشتغل بعمر في طاعة الله يفنيه. دأبه الاقتصار على تجويد الكتاب. والتردد ما بين بيته والمحراب. وقد لقي من الشيوخ أعلاما. صيره لقاؤهم والأخذ عنهم إماما. وله مع علو الرواية حظ وافر من الدراية. إلى خلق لو شاء ما

البحر صار فراتا. ودين ألزمه خشوعا واخباتا. وقد شاهدت له من غزارة العبرة ماهو من أعظم العبرة. ولما ودعته قال لي: أنك توحشني بفراقك. وقد أقبل عليك قلبي لأول ما رأيتك. وما كانت مدة اقامتنا ببجاية الا يومين قرأت عليه فيهما مع كثرة الشواغل وتسلط الهموم التي تخل بعقل العاقل بعض كتاب الموطأ رواية يحيى بن يحيى. وناولني سائره وبعض كتابتي التيسير والمقنع للإمام أبي عمرو الداني وناوليهما وقرأت عليه جميع قصيدة الشيخ الفقيه أبي القاسم قاسم بن فيره الرعيني الشاطبي في القراءات. وحدثني بها عن الشيخ الفقيه الخطيب المقريء أبي بكر محمد بن وضاح اللخمي سماعا عن ناظمها الشيخ الفقيه الامام أبي القاسم المذكور . ووجدت على ظهر أصله من هذه القصيدة تنبيها بخطه على الاختلاف في كنية الناظم المذكور هل هي أبو القاسم أو أبو محمد؟ قلت وهما معاً صحيحتان. وأهل مصر لا يعرفونه الا بأبي القاسم. ولهم نظر هذه القصيدة. وعندهم توفى في عقب جمادى الآخرة عان تسعين وخمسامائة. ومدفنه بمقبرة البيساني وكان يكنى في الأندلس بأبي محمد. وبه كناه جميع شيوخه الأندلسيين الذين قرأ عليهم فيما كتبوا له كأبي الحسن بن هذيل وغيره. وعادة الناس إلى الآن مختلفة في

تكنية أبي القاسم على الوجهين المذكورين. وقرأت عليه أيضاً بعض
كتاب الشمائل للترمذي وبعض كتاب رياضة المتعلمين للحافظ أبي
نعيم وناولني سائرهما. وناولني المفردات لأبي عمرو وكتاب فضل قيام
الليل، وكتاب فضل تلاوة القرآن للامام أبي بكر الأجري. وأجازني
إجازة عامة. وكتب لي بذلك خط يده. وقيد لي جملة من أسماء
شيوخه ومروياته وقد جمع ذلك في برنامج له قرأته عليه حين لقيته
المرة الثانية حسبما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وسألته عن مولده.
فأخبرني أنه كان في التاسع و العشرين من ذي القعدة عام أربعة عشر
و ستمائة. وقرأت عليه حديث كميل بن زياد عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه من رياضة المتعلمين وحدثني به عن الشيخ الرواية أبي
الحسين أحمد بن محمد بن احمد بن السراج سماعا عليه بقراءة الشيخ
العالم ابي عبد الله القضعي عن ابي القاسم بن بشكوال بسنده فيها إلى
كميل. قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني
إلى ناحية الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال: يا كميل. إنّ
هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير يا كميل احفظ عنّي ما
أقول لك الناس ثلاثة: فعالم رباني و متعلم على سبيل نجاة. و همج
رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستظيئوا بنور العلم و لم

يلجأوا إلى ركن وثيق. يا كميل العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل معرنة العلم دين يدان به. به يكسب الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثه بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه. يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون ما بقى الدهر. اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ثم قال: ها ان هاهنا لعلما جما واشار بيده إلى صدره لو اصبت له حملة بلى اصبت لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين في طلب الدنيا. ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لاذا ولا ذاك! او منهوما باللذة سلس القيادة للشهوة او مغرما بالجمع والأدخار ليس من رعاة الدين في شيء أقرب شيء بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه ثم قال: اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خائفا مغفورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته و كم ذا و اين أولئك ، والله، الاقلون عددا والاعظمون عند الله قدرا يحفظ الله بهم حججه و بيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم

على حقائق الامور فباشروا روح اليقين و استلالنوا ما استوعره المترفون و انسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملكوت الأعلى اولئك خلفاء الله في أرضه و الدعاة إلى دينه آه آه شوقا إلى رؤيتهم واستغفر الله لنا ولهم انصرف يا كميل اذا شئت. وقرأت عليه فيما يسنده إلى علي أيضا. قال: ان من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض. ولا تشير اليه بيدك. ولا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته فان زل انتظرت او بته وقبلت معذرته. وان تدخره وتعظمه لله ولا تمشي امامه. وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ولا تتبر من طول صحبته. فانما هو بمنزلة النخلة. تنتظر ما سقط عليك منها منفعة. واذا جئت فسلم على القوم وخصه بالتحية. واحفظه شاهدا وغائبا. وليكن ذلك كله لله. فان العالم اعظم اجرا من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله. واذا مات عالم انثملت في الاسلام ثلمة الى يوم القيامة. لا يسدها الا خلف مثله. وطالب العلم تشيعه الملائكة من السماء. وقرأت عليه فيها بسنده الى الحارث الاعور عن علي ايضا قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ان امتك ستفتن من بعدك فسئل رسول الله

صلى الله عليه و سلم: ما آلمخرج من ذلك. قال: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. من ابتغى العلم في غيره أضله الله و من ولي هذا الأمر من جبار فحكم بغيره قصمه الله. هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم. فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل. وهو الذي سمعته الجن فلم تتناه ان قالوا: أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد لا يخلق عن طول الرد و لا تنقضى عبره و لا تفنى عجائبه. ثم قال للحارث خذها يا أعور. وانشدني أيضا لنفسه حفظه الله « طويل»:

أرى العمر يفنى و الرجاء طويل   وَ ليس إلى قرب الحبيب سبيـــل

حباه اله الخلق احسن سيـــرة   فما الصبر عن ذاك الجمال جميل

متى يشتفي قلبي بلثم ترابـــه   و يسمح دهر بالمزار بخيـــــل

دللت عليه في أوائل اسطري   فذاك نبي مصطفى ورســـــول

و انشدني ايضا قال: انشدني الشيخ الفقيه الخطيب ابو محمد عبد الله ابن عبد الرحمان بن عبد الله هو ابن برطله لنفسه« خفيف»:

اسلمنـــى للبـــلا وحيـــدا   من هو في ملكه وحيـــــد

قضى علي الفناء حتمـــــا   فلم يكن عنه لي محيــــد

وكيف يبقى عريق تـــــرب   بذاتـــــه اولا صعيــــد

يعيـــده آخــــرا اليــــه   من نعته المبدي المعيــــد

و انشدني كذلك له أيضا « طويل»:

ايا ناظرا نحوي ترحم لمراحــــل   أتته المنايا في ثياب مقيـــــم

فلم يلتمس زادا سوى حسن ظنه   و من يبتغي زادا لدار كريم

قلت و اظن هذا الشعر مأخوذا من قول آخر « المتقارب»:

قالت لي النفس أتاك الــردى   و أنت في بحر الخطايا مقيم

و ما انتقيت الزاد قلت ارعوي   هل يحمل الزاد لدار كريم

و انشدني ايضا كذلك له « كامل»:

دنياك مهما اعتبرت فيهـــا   كجيفة عرضـــة انتهـــاب

ان شئتها فاحتمل اذاهـــا   و اصبر على خلطة الكلاب

قلت وكان هذا أيضا مأخوذ من قول الآخر. اخبرني به الشريف ابو الحسن علي بن احمد اجازة عن الشيخ أبي الحسن محمد بن احمد بن القضاعي المؤرخ عن الامام ابي الفرج بن الجوزي مما انشده في صفة الدنيا« طويل»:

وهل هي الا جيفة مستحلـــة   عليها كلاب همهن اجتذابها

فان تجتنبها كنت سلما لاهلها   وان تجتذبها ريشتك كلابها

و اما ضبط هذا الاسم فقد قيدته عن شيخنا أبي عبد الله: ابن برطله بتاء التأنيث المنقلبة هاء في الوقف وبضم الباء والطاء، وقيده الفقيه ابو الحسن بن رزين بضم الام و هاء ساكنة. وقال هكذا ثبت عنه. وهو من أهل مرسية. علم من أعلامها وعالم من علمائها. خطب بها وببجاية بخطب بليغة من انشائه. وولى القضاء بمواضع من عمل تونس. وبها استقر أخيرا بعد اسر ناله مرتين. وحج ثم رجع إلى تونس. فتوفي بها عام أحد وستين وستمائة. وقرأت عليه أيضا اول قصيدة أبي عبد الله بن أبي الخصال التي سماها معراج المناقب وناولنيها. وحدثني بها عن ابن السراج قراءة عن أبي القاسم بن يشكوال وابن غالب الشراط سماعا عليهما بقراءة خاله ابي بكر محمد بن خير عن ناظمها المذكور و اولها« طويل»:

اليك بهمي و الفؤاد بيثرب … و ان عاقني عن مطلع الوحي مغرب

ثم وصلنا الى بني ورار. ثم الى ميلة فلم نر الا رسوما بحوادث الدهر محلية. يقتصر في وصفها من اراد ان يعمل بيانه على ما تقدم من وصف مليانه. وكلتاها على شكل مدينة ليست بثمينة ولا متينة. عمل البلاء. فيهما وفي السكان وادخل الجميع في خبر كان. وفي كيلتهما عين تسح وعنصر يجود ولا يشح وبنو ورار اعمر المحلين

وعينها اغزر العينين. تسقى البلد نهلا وعللا وتفيض عليها غللا يشفى غللا. و عين ميلة في داخل البلاد. ليست بفيض و لا ثمد. وقد طويت طيا بديع الأحكام وبنيت بنيانا يدل على فرط الاعتناء والاهتمام تقف عليه النواظر وقوف استغراب وتصفه الالسنة على جهة الاغراب وكفى ببلد خلاء وفناء الا يحوي ما يوصف الا ماء وبناء. ثم وصلنا إلى البلد الذي نشفت الخطوب معينة. وأبت الأقدار أن تكون له معينة. بلد الوضع العجيب والموضع الخصيب مدينة قسنطينة جبر الله صدعها. وكفاها من نوائب الدهر ما واصل فرعها. وهي مدينة عجيبة حصينة غير أنها لخطوب الزمان مستكينة. قد ذبلت ببوارح الغير وفوادح الضرر. ونضبت لسهام الآفات وعظائم الملمات حياضها حتى صارت كالحسناء لبست أسمالا والكريم فقد مالا. والبطل أثخنته الجراحة حتى لا يطيق احتمالا. فهي ترى الحوادث لحا وتنادى بلسان الحال ذل لو أجد ناصرا«خفيف»:

من رأيت المنون خلدن ام من ذا لديه من ان يضام خفير

وبها للأوائل آثار عجيبة. ومبان متقنة الوضع غريبة وأكثرها من حجر منحوت. يعجز الوصف اتقانه ويفوت وقد دار بها واد شديد الوعر. بعيد القعر. احاط بها كما يحيط السوار بالمعصم. ومنعها

كما يمنع النوق الأعصم. ولكن سهام الدهر لا تقيها الجنن ولا تمنع منها القنن. وريب المنون وصرف الزمن قد أعيت الحيلة فيها من ومن. و لم أر بها من ينتمي الى طلب. ولا من له في فن من فنون العلم أرب. سوى الشيخ ابي علي حسن بن بلقاسم بن باديس وهكذا قيد لي اسم أبيه بخطه مخلوطا. وقال لي انه اسم وكنية. وهو شيخ من أهل العلم يذكر فقها و مسائل ذو سمت وهيبة ووقار. وليس في البلد من يذكر بعلم سواه البتة. وليست له بالرواية عناية. و لم يرو الا الموطاء وحده. فانه قراه على الشيخ الفقيه المحدث أبي يعقوب يوسف بن موسي الغماري المحسانى حين خطر على قسنطينة راجعا من المشرق. فاقام عندهم مدة لتوالى الامطار. فقراه عليه وهو اذ ذاك كبير. وفارقه وهو عنده مجهول وما عرف من هو حتى عرفته به حين رأيت خطه الذي كتب له على الموطا. وقد قرأت عليه صدرا منه. وحدثني به عنه. وسمعته يقول: سمعت الشيخ الصالح المسن حسن الحلفاوي يقول: عمرت خمسا وثمانين سنة ما تم لى بها سرور قط الا ثلاثة ايام، يوم دخولي مكة، ويوم وقوفي بعرفة، ويوم دخولي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وسمعته أيضا يقول: وقع الكلام بين يدي الفقيه الامام ابى الحسن اللخمي رحمه الله في حكم السفر الى

الحج مع فساد الطرق. وهل الاولى تركه احتياطا على النفس او الاستسلام في التوجه اليه. وكان اللخمي مائل الى ترجيح الترك قال: وكان في المجلس رجل واعظ. فقال له: يا فقيه تسمع ما أقول. فقال له: نعم، فانشده«بسيط»:

ان كان سفك دمي اقصى مرادهم　　فما غلت نظرة منهم بسفك دمي

فاستحسن كل من حضر منزعه. وانفصل المجلس على ان الأولى تحمل الخطر في التوجه والاعراض عن تلك العوائق. وسألته عن الأديب ابي علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكون فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير. ولم يحفظ له مولودا ولا وفاة ورمت ان اجد من يروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسنطينة الى مراكش. فلم اجده فقيدتها هنالك غير مروية وكان القسنطيني كتب بها الى ابي البدر بن مردنيش وهو بقسنطينة وهي هذه« مديد»:

ألا قل للسري بن الســـري　　أبي البدر الجواد الأريحي

أيا معنى السيادة والمعالـــي　　و يا بحر الندى بدر النـــدي

أما و بحقك المبـــدي جلالا　　وما قد حزت من حسب علي

وما بيني و بينك من ذمـــام　　وما أوتيت من خلق رضـــي

لقد رمت العيون سهام غنج و ليس سوى فؤادي من رمي
فحسبك نار قلبي من سعير وحسبك دمع عيني من أتـــي
وكنت أظن أن الناس طرا سوى زيد وعمرو غير شـــــيء
فلما جئت ميلة خير دار أمالتني بكل رشـــي ابـــــي
وكم اورت ظباء بني ورار أوار الشوق بالريق الشهـــي
وجئت بجاية فجلت بدورا يضيق بوصفها حرف الـــروي
وفي أرض الجزائر هام قلبي بمعسول المراشف كوثـــــري
وفي مليانة قد ذبت شوقا بلين العطف و القلبي القســـي
وفي تنس نسيت جميل صبري وهمت بكل ذي وجه وضـــــي
وفي مازونة مازلت صبـــا بوسنان المحاجر لوذعــــــــي
وفي وهران قد أمسيت رهنا لظامي الخصر ذي ردف روي
وأبدت لي تلمسان قدودا جلبن الشوق للقلب الخلـــــي
ولما جئت وجدة همت وجدا بمنخنث المعاطف معنـــــــوي
وحل رشا الرباط رشى رباطي و تيمني بطـــــرف بابلـــــي
واطلع قطر فاس لي شموسا مغاربهن في قلـــب الشجـــــي
وما مكناسة إلا كنـــــاس لأحوى الطرف ذي حسن سني
وإن تسأل عن أرض سلا ففيها ظبـــــاء سائدات للكمـــــي
وفي مراكش يا ويح قلبـــي أتى الوادي فطم على القـــري
بدور بل شموس بل صبـــاح هـــــي في هـــــي في هـــي
انخن مصارع العشاق لمـــــا سعين به فكم ميــت وحـــــي
بقامة كل اسمر سمهـــــري ومقلة كل أبيـــــض مشـــرفي

إذا انوني الولدان حسنـــــا   أنسيهم هـــوى غيلان هـــي

فها أنا قد اتخذت الغرب دارا   وأدعى اليـــوم بالمراكشـــي

على أن اشتياقي نحو زيــد   كشوقي نحو عمرو بالســـوي

يقاسمني الهوى شرقا و غربا   فيا للمشرقـــي المغربـــي

فلي قلب بأرض الشرق عان   وجسم حل بالغرب القصـــي

فهذا بالغدو يهيم غربـــا   وذاك يهيم شرقا بالعشـــي

ولولا الله مت هوى ووجدا   وكم لله من لطـــف خفـــي

قلت: قال أهل اللغة الغنج والغنج الدل و حسن الشكل فقوله:

لقد رمت العيون سهام غنج   غير ملائم. وقائله لا يسلم من لائم ولا يحسن في الأدب خطاب ذوي الرتب بمثل قوله: فحسبك نار قلبي من سعير و اذا نعني على ابي الطيب المتنبي قوله« طويل»:

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا

وقوله « طويل»:

إذا لبست الدهر مستمتعا به   تخرقت و الملبوس لم يتخرق

قد علم أن المخاطب بذلك غير ممدوح. فما الظن بهذا وقوله:

أما وبحقك المبدى جلالا البيتين وقوله. بوسنان المحاجر لوذعى

موضوع في غير موضوعه. فان الوسن انما يوصف به الجفن والعين والطرف وما جرى مجراه. كما قال عدي بن الرقاع« كامل»:

وسنان أقصده النعاس فرنقت   في عينه سنة و ليس بنائم

وأفرطوه حتّى جعلوه مرضا. فقال النابغة« كامل»:

نظرت اليك بحاجة لم تقضها   نظر السقيم إلى وجوه العود

وتبعه جرير فقال « بسيط»:

إن العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وأما المحاجز فما وصفها أحد بالوسن فيما أعلم. وترتيب اللوذعي مع وصف المحاجر كترتيب الدل مع الشنب. والتحاكم في ذلك الى كثير. وقوله معنوي بعد منخنث المعاطف أبعد من هذا ولقد استربت به حتى ظننت أنه مصحف ولا أتبرأ فيه من تصحيف وذكر الانخنات في المعاطف ليس بدون هذا في القبح. فان اللفظ وان كان له أصل في اللغة في اللين والتثني فقد رفعه كثرة الاستعمال في وجه آخر وإنما جرت عادة الشعراء في وصف المعاطف بذكر التثني واللين والانعطاف لا بالانخناث. وقوله رشا رباطي لفظ محتمل جاف ما

جلبه إلا التجنيس واذا وجد الرشا والرباط فما بقي الا الضرب. وأي رقة مع هذه الألفاظ الجافية. ولو قال رشا ارتباطي لكان أقرب مع بعده.لأنه أراد التماسك و التثبت فالارتباط به اليق و قوله مغاربهن في قلب الشجي خارج عن اعتدال الكلام. فإنه أراد بما ذكر من غروبهن في القلوب اشتمالها على حبهن وليس إذا غرب حبهن في القلوب فقد غربن فيها. ولا يحسن أن يقال مطالعهن قطر فاس ومغرب حبهن قلب الشجي وانما يحسن أن يذكر في غروبهن ما يغيبهن من النواظر كالخدور ونحوها وبذلك جرت عادة الشعراء وهو مستعمل كثير نحو قوله« كامل»:

قمرا إذا استخجلته بعتابه   لبس الغروب ولم يعد لطلوع

ومنه قول ابي الطيب: **بأبي الشموس الجانحات غواربا.** فهذا الرجل لم يخالف مبدعا ولم يؤلف متبعا وقوله بدور شموس بل صباح نزول مفرط وعكس للرتبة فان الشمس اشهر من الصباح وأنور والانتقال من التشبيه بالأعلى إلى الأدنى أشبه بالذم منه بالمدح ولا سيما مع الاضراب وقوله بهي في بهي في بهي غير منطبق على صدر البيت. ولا ملائم له. ولو قال بدور في خدور في قصور لجاء عليه عجز البيت ألين من العقد بجيد الحسناء وأوفق من الجود للروضة الغناء وقوله إذا

أنسوني الولدان حسنا ضعيف ساقط لأن التمثيل و التشبيه يجب أن يكونا في كل صنعة بما تعارفها أهلها واشتهر عندهم. هذا على تقدير التقييد في الولدان. فكيف واللفظ بهم مطلق يدخل تحته كل ما يسمى ولدا. وقوله فهذا بالغدق يهيم غربا كلام غير محصل فإن الجسم العربي من القلب لا يهيم وإنما يهيم القلب. وليست الباء هنا ظرفية بمعنى في لان الهيمان لا يتخير الأوقات وما أضعف حبا لا يهيج إلا مرة في اليوم. وإنما هي للالصاق أي هذا يشتاق في وقت الغروب إلى الغدق وذلك في وقت الشروق إلى العشي شوقا من هذا إلى الشرق ومن ذاك إلى الغرب وهو معنى حسن لو ساعده اللفظ. ثم وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة. مبسوطة البسيط ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة. تلاحظ من كثب فحوصا ممتدة وتراعي من البحر جزره ومده. تغازلها العيون من جور النوائب وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب. وقد ازعج السفر عن حلولها فلم أقض و طرا من دخولها. ومن أغرب المسموعات أنا صادفا وقت المرور بها زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج. واسروا من البر أشخاصا فامسكوهم للفداء بمرسى البلد. وتركناهم ناظرين

في فدائهم. ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير. ثم مررنا على قرية خولان. ولم يعرج عليها من أصحابنا انسان. ولم أرى بها ما يتعرض له ببنان ولا ما يعمل فيه قلم ولا لسان سوى أن فناءها رحب المسرح وبسيطها أبسط من غيره وأشرح. ولكن أيدي الخطوب قد زوته فانزوى وأظمأت أهله وهم شوع في الماء الروي. ثم وصلنا إلى مدينة باجة وهي مدينة جرعها الدهر اجاجه. قد هتكتها الأيدي العادية. وفتكت فيها الخطوب المتمادية حتى صارت وهي حاضرة بادية فخشوعها لائح وضراعتها بادية وقد حدثت بها أن أهلها لايفارقون السور خوفا من العربان. وانهم يستعدون لدفن الجنائز كما ليوم الضراب والطيعان. ولم نقم بها إلا ظل نهار. فلم اختبر لذلك حالها حقيقة الاختبار. وما رأيت بها من له إلى العلم انتماء ولهمته نحو المعارف ارتماء سوى الأديب النحوي أبي علي حسين بن محمد الطبلي بالطاء و الباء الساكنة بواحدة وهو رجل له مقول منقاد وذهن مشتعل وقاد حسن الخلق مقبول الصورة ولكن همته فيما رأيت على علم العربية مقصورة. وقد جمع أكثر مؤلفاتها واحتفل في تحصيل مصنفاتها. فاجتمع له من ذلك ما دلّ على نبله واعانه على تسديد نبله سألته عن نسبته المتقدمة.

فقال لي هو لقب جرى علينا قديما. واشتهرنا به. وقد قرأت عليه بعض كتاب« المقرب في النحو». وحدثني بجميعه قراءة على مؤلفه الشيخ الأستاذ النحوي أبي الحسن علي بن مومن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور بن عصفور أملاه عليه وان مولده عام السيل بأشبيليه سنة سبع و تسعين وخمسمائة. قال وتوفى بثغر تونس كلاها الله يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة عام تسعة و ستين و ستمائة. وحدثني به وبغيره من تآليفه اجازة عنه شيخنا الفقيه المحصل الرواية أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأسيدي بالقيروان وأفادني أبو علي المذكور حكاية عن أبي محمد الحريري لم يذكر لها سندا وهي أن رجلا طلب منه إعارة كتاب كان يمسكه كثيرا للمطالعة فانشده ارتجالا « طويل»:

سمير فؤادي منذ عشرين حجة وصيقل ذهني والمفرج من همي
قبيح على مثلي اعارة مثلـــــه وآيته ان لا يفـــارقـــه كمـــي

وقد ذكرتني هذه الحكاية حكاية أخرى عن الحريري حكاها لي الفقيه. القاضي الحاج ابو أمية الدلائي رحمه الله رأيت تقييدها بهذا الموضوع والحديث شجون وهي ان رجلا رحل إليه ليقرأ عليه فلما جاءه سأله عن قصده.

ما أنت أول سار غـــره قمـــــر ... ورائد خدعته خضرة الدمـــن

فاركض برجلك مصرا انني رجل ... شبه المعيدي فاسمع بي ولا تربي

قُلت خفّف الدّال من المعيدي و هو الأشهر. والأصل فيه التّثقيل. وإنّما خُفّف لكثرة الاستعمال. قال أبو عبيد: و كان الكسائي يرى التشديد في الدّال، وقال: إنّما هو تصغير رجل منسوب إلى معد، و لم أسمع هذا من غيره. و المثل أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. قال أبو عبيد: و العامة لا تذكر ان، ثمّ ذكر الاختلاف فيمن قاله، و فيمن قيل فيه. ثمّ وصلنا إلى مدينة تونس، مطمح الآمال، ومصاب كل برق، ومحط الرّحال من الغرب والشّرق. وملتقى الرّكاب، والفلك، وناظمة البرّ في سلك.فإنْ شِئت أَصحرت في موكبٍ، وإنْ شِئت أَبحرت في مركبٍ، كأنّها ملكة، والأربض لها إكليل. وأرجاؤها روضة، باكرها ريح بليل. إن وردت مواردها، نُقعت غليلا، وإن ردّت فرائِدها، شُفيت حشا عليلا. جليت بها غروس الغروس. وحليت بها على ممرّ الدّهر الطروس، لا تنشد بها ضالة من العلم إلاّ وجدتّها، ولا تلتمس بها بغية معوزة إلاّ استفدتّها، وأهلها ما بين عالم، كالعَلم رافع بين أهله للعلم، ومعطل

حدّ الظبا بحدّ القلم. ومسلم على ربع بذي سلم. شاك من وجده فرط الألم. فاقت بحسن معانيها، وإتقان مغانيها غيرها من المدن. وطالت وسطت بنخوتها، وانتخبت بسطوتها على قواعد الشّرق والغرب، وصالت وترجم حسنها البهيج، وعرفها الأريج عن معناها، ولو نطقت لقالت «طويل»:

أَنَا الغَـادَةُ الحَسْنَاءُ فَـاقَ جَمَالُهَا قَالَت يَمينـا لاَ خطبـت عَلَـى زوجِ
إِذَا الغَانِيَـاتُ ارْتَدْنَ وَصل بعولة فَمَالِي ولاَ فَخْرِ إِلَى الزَّوجِ مِنْ حَـوج
أُغَدِي إِذَا مَا شِئْتُ ضبيا بِقفرة وأَطرق نون اليم فِي الحَضِيضِ إِلَى الأَوجٍّ

وهذه المدينة كلاها الله، من المدن العجيبة الغريبة، وهي في غاية الاتّساع، ونهاية الإتقان. والرّخام كثير بها. وأكثر أبواب ديارها، معمول به عضائد وعتبا. وجُلّ مبانيها من حجر منحوت، محكم العمل، ولها أبواب عديدة. وعند كلّ باب منها ربض متّسع على قدر البلد المستقلّ. ولو اتُّفِق أن يكون بها ماء جارٍ، لكانت معدومة النّظير شرقا و غربا. ولكنّ ماءها قليل. و في ديارها مصانع لماء المطر. وهو المستعمل عندهم. و أمّا السّاقية المجلوبة من ناحية زغوان. فقد استأثر بها قصر السّلطان وجنانه إلاّ رشحا يسيرا سرب إلى ساقية جامع الزّيتونة، يتسرّب منها في أنابيب من رصاص، ويستقي منه

الغرباء و مَن ليس له في داره ماء. ويكثر عليها الازدحام. وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأتقنها، وأكثرها إشراقا. ودائره مسقف، ووسطه فضاء. قد نُصبت فيه أعمدة من خشب على قدرِ ارتفاع الجدر، وشدّت إليها حبال متينة في حلق، من حديد، مثبتة فيها وفي السّقوف شدّا مُحكما. فإذا كان يوم الجمعة، نُشرت عليها شقق الكتّان المطبّقة الموصولة، حتّى تُظلّلُ جميع الفضاء. ذلك دأبهم فيها حتّى ينصرم فصل الصّيف. وأمّا السّاقية المذكورة، فهي من جملة غرائب الدّنيا، و هي قديمة من عمل الرّوم. مجلوبة من جبال بجنوب تونس، على مسيرة يومين أو نحوهما، في أوعار، وأودية منقطعة، وجبال، و آكام. فإذا انتهوا بها إلىْ جبل أو تل خرقوه وسربوا الماء فيه وإذا انتهوا إلى واد أو وهد بنوه قناطر بعضها فوق بعض حتى يستوي مع مجرى الساقية بصخر منحوت اتقن مايكون من البناء واغربه واوثقه حتى ينسرب الماء منها في مستو معتدل. واتصلت هذه الساقية بهذا العمل حتى دارت من وراء تونس إلى الغرب وانتهت إلى مدينة قرطاجنة وبينها وبين تونس اثنى عشر ميلا. وهي من أعجب مدن الأرض وأغربها لما يحكى عنها من فرط الاعتناء وغرابة الصنعة وحسبك ان هذه الساقية من جملة الاعتناء بها. وأما الرخام فمنها

يجلب إلى كل موضع بإفريقية قديما وحديثا ولا يفنيه ذلك منها. وهي الآن دائرة لا أنيس بها. وأهل تونس يخرجون إليها تفرجا وتعبدا. والقناطر من تونس إليها معطلة وهذه القنطرة تعرف عندهم بالحنايا. وهي مما يقصر عنها الوصف لفرط إتقانها وغرابتها. ويذكر أن الروم أقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها أربعمائة سنة وهذا بعيد. وأما أبو عبيد البكرى فحكى ان عملها فرغ حتى استوى فيها جري الماء في أربعين سنة وهذا يشبه مع الاعتناء التام والأدوات الكاملة والقوة الوافرة وقد كان بعض الأمراء وهو أخو القائم بها الآن احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله فأقام في عملها مجتهدا بأقصى ما يمكنه أعواما عديدة. ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه بل اقتنع بتسديده كيف ما أمكن مع قلته وتفاهته بالإضافة إلى غيره ومازالت مدينة تونس كلاها الله دار ملك وضخامة: وهي إلى الآن دار مملكة إفريقية على ضعف المملكة بها وانتهائها إلى حد التلاشي ومع ذلك فقد اربت على البلاد في كل فضيلة. وما رأيت لأهلها نظيرا شرقا وغربا شيما فاضلة وخلالا حميدة ومعاشرة جميلة وقد كان الأحلق بمن شاهد أخلاقهم أن يطنب في وصفهم ويضرب على من يمنحهم

الوداد وينصفهم إذ ذاك من بعض واجبهم وأقل مراتبهم. ولكن الزمان لا يعين على توفية الحقوق. ولا يتعمد بالفراغ إلى أهل العقوق. وناهيك من بلد لا يستوحش به غريب ولا عدم فيه كل فاضل أريب. يبدؤون من طرأ عليهم بالمداخلة ويخطبون منه لفضل طباعهم المواصلة: فهو منهم بين أهل مشفق ورفيق مرفق. وقد كان بعض أخيار طلبتها وحسبائهم لازمني مدة الإقامة بها وترك لأجلى مهمات أموره. وعرفني بفضلائها وكان لا ينفصل عني عامة النهار. وكثرا ما كنت أمر بمن لا يعرفني من أهلها فاسأله عن الطريق إلى ناحية منها. فيقوم من حانوته ماشيا بين يدي يسأل الناس عن الطريق ويدل بي وهذا من أغرب ما يسمع من جميل الأخلاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ولو لا أني دخلتها لحكمت بأن العلم في أفق الغرب فن محي رسمه و نسي اسمه وضاع حظه وقسمه. ولكن قضى الله بأن الأرض لا تخلو من قائم له بحجة يرى سبل الحق ويوضح المحجة وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله واردا وحائما وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر يجلو الفخار بهم عن محيي سافر وينير علمهم. وقد القت ذكاء يمينها في كافر. ولكنه لم يقض لي حين

ورودها أن اقضي الوطر من لقاء جميع مذكورها ومعدودا بسبب وظائف السفر ولوازمه واقتصار معربه على اعمال جوازمه وكان حكم السفر قد استمر وتمادى فلم ألق بها من أهل العلم إلا آحادا.

منهم الشيخ الأديب الفقيه الفاضل المسند المسن أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي. وهو شيخ وظيئى الأكتاف لين الجانب لقاصديه له رواية عالية لكبر سنه. أدرك جملة من أفاضل العلماء وروى عنهم. منهم الشيخ الفقيه الخطيب المقرئى جده لامه أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم بن ابراهيم بن خلصة الحميري. والقاضي أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي. وصحب أبا القاسم بن الطيلسان. وأخذ عنه كثيرا. وأخذ عن جماعة من أهل الأندلس بها وبالعدوة. وقد جمع أسماءهم في برنامج له قرأته عليه حين لقيته ثانية حسبما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى ولقيته حين وردت، ونس فقرأت عليه بعض الموطاء رواية يحيى بن يحيى. وناولني سائره. وحدثني به عن الشيخ الفقيه القاضي بن بقي قراءة عليه لبعضه وسماعا لسائره بأسانيده المعروفة. وقرأت عليه لبعضه وسماعا لسائره بأسانيده المعروفة. وقرأت عليه بعض كتاب التيسير للإمام أبي عمرو المقرئى وناولني سائره وسمعت عليه دولا من صحيح مسلم وقد سمع جميعه

على القاضي ابي القاسم بن بقي وناولني فهرسته وفهرستي جده أبي جعفر والقاضي ابي القاسم بن بقي تخريج ابن الطيلسان. وحدثني بهما وبما تضمناه عنهما وأجازني في كل ما تصح روايته عنه اجازة عامة. وكذلك أجاز ولدي محمدا وفقه الله. وكتب لي بذلك خط يده ولقيته مرة ثانية في رجوعي من المشرق. فقرأت عليه أشياء ياتي ذكرها في موضوعه ان شاء الله من هذه المرحلة. ومنهم الشيخ الأستاذ النحوي الأديب الفاضل المحدث الرواية أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري الليلي وهو شيخ مسن قوي الرجاء حسن الظن بأهل الدين سريع العبرة. رحل قديما إلى المشرق فحج ولقي جماعة من الأيمة بالاسكندرية ومصر والشام والحجاز. وله برنمجان صغير وكبير في أسماء شيوخه وعدة تآليف منها شرح الفصيح وشرح أبيات الجمل وغير ذلك. لقيته وجالسته أياما فقرأت عليه جملة صالحة من أول كتاب الموطأ رواية يحيىى بن يحيىى وجميع كتاب الجامع من آخره. وناولني سائره مرارا وحدثني بجميعه بأسانيده المرسومة في برنامجه. وقرأت عليه جملة من قصيدة الشيخ الإمام أبي القاسم الشاطبي في القراءات وحدثني بها عن صهر ابي القاسم المذكور زوج ابنته كمال الدين أبي الحسن علي بن شجاع بن سالم قراءة منه عليه بمصر عن

ناظمها المذكور وسمعت عليه مجالس من كتاب التسيير للإمام أبي عمرو المقرىء ومن كتاب الشمائل للترميذي وقرأت عليه بعضه وناولني إياها وأجازني عموما في كل ما رواه وألفه وكل ما تصح روايته عنه من منظوم ومنثور اجازة عامة واجاز ولدي محمدا وفقه الله وكتب لي بذلك خط يده حسبما سطرته. وسمعت عليه أرجوزته بالعقيدة وما ضم إليها من نثره. وكان قد أخذ بحفظها صبيان المكاتب رغبة في نشرها والانتفاع بها وحملني حتى سمعتها منهم بمحضره وحرضني على نشرها رجاء الانتفاع بذلك نفعه الله وإيايي. واخلص نيتنا في طلب العلم لوجهه الكريم بمنه ومنهم الشيخ الفقيه الأديب الفاضل ذو العناية والتهمم. صاحبنا وولينا في الله تعالى أبو عبد الله محمد بن عبد المعطي بن محمد النفزي شهر بابن هريرة حفظه الله لقيت منه خيرا فاضلا صدوقا ذا مروءة وأخلاق جميلة. وله عناية بالتاريخ وحظ من الأدب ومشاركة في غير فن أفادنا وأفدناه وجالسته كثيرا وناولني كتابه الذي جمعه في وفيات المشاهير من أهل كل فن ومواالدهم ونتف من أخبارهم وأسمعني مواضع منه وأجازني سائره وهو كتاب مفيد لولا أنه لم يرتب على ما ينبغي وقرأت عليه قصيدة الشيخ الفقيه العالم الصالح أبي محمد عبد الله بن

الشيخ الفقيه العالم الصالح أبي زكريا يحيى بن على الشقراطسي التوزري وحدثني بها عن شيخه الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد التوزري الشهير بالمصري قراءة منه عليه عن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى الطولقي عن الشيخ الفقيه القاضي أبي عمرو عثمان بن أبي القاسم عبد الرحمان بن حجاج عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن عمر بن حمادى بفتح الحاء وتخفيف الميم وآخرها ياء قبلها دال مكسورة عن الفقيه الخطيب المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد النفطي عرف بابن الإمام وبابن الصائغ عن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن يخلف بن واطاس بطاء مشددة عن ناضمها المذكور. وذكر لي عن شيخه أبي عبد الله المصري المذكور أن شقراطس قصر قديم من قصور قفصة. وأنه والي البحث عن وفاة الشقراطسي حتى أخبره من وثق به أنها كانت في يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة ست وستين وأربعمائة. وقد رأيتان أثبت القصيدة هنا بجملتها بحلول الله تعالى وهي هذه (بسيط):

الحمد لله منا باعث الرسل ... هدى بأحمد منا أحمد السبل

خير البرية من بدو ومن حضر ... واكرم الخلق من حاف ومنتعل

توراة موسى أتت عنه فصدقها إنجيل عيسى بحق غيـــر مفتعــــل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت عما رأو وروو في الا عصـــر الأول
ضاءت لمولده الآفاق واتصلت بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده وانقض منكسر الأرجاء ذا ميـــل
ونار فارس لم توقد وما خمدت مذ ألف عام ونهر القوم لم يســـل
ومنطق الذيب بالتصديق معجزة مع الذراع ونطق العيـــر والجمـــل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعـــل
وفي دناك بالأشجار حين أتت تمشي بأمرك في أغصانهـــا الذلـــل
وقلت عودي فعادت في منابتها تلك العروق باذن الله لـــم تمـــل
والسرح بالشام لما جئتها سجدت شم الذوائب من افنانها الخضـــل
والجذع حن لأن فارقته أسفا حنين ثكلى شجتها لوعة الثكـــل
ما صبر من صار من عين إلى اثر وحال من حال من حلي إلى عطل
حي فمات سكونا ثم مات لدن حي حنينا فأضحى غايـــة المثـــل
والشاة لما مسحت الكف منك على جهد الهزال بأوصال لـــها نحـــل
سحت بدره شكرى الضرع حافلة فروت الركب بعد النهل بالعلـــل
وآية الغار إذ وقيت في حجب من كل رجس لرجس الكفر منتحل
وقال صاحبك الصديق كيف بنا ونحن منهم بمرءى الناظر العجـــل
فقلت لاتحزن إن الله ثالثنا وكنت في حجب ستر منه منســـدل
حمت لديك حمام الوحش جاثمة كيدا لكل غوي القلـــب مختبـــل
والعنكبوت أجادت حوك حلتها فما تخال خلال النســـج مـــن خلـــل
قالوا وجاءت اليه سرحة سترت وجه النبي بأغصـــان لهـــا هـــدل

وفي سراقة آيات مبينة إذ ساخت الحجر في وحل بلا وحل

عرجت تخترق السبع الطباق إلى مقام زلفى كريم قمت فيه علـــــي

عن قاب قوسين أو ادنى هبطت ولم تستكمل الليل بين المر والقفــــل

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا أفديك بالخلق من داع ومبتهــــل

صعدت كفيك إذ كف الغمام فما صوبت الابصوب الواكف الهطل

اراق بالأرض ثجا صوب ريقه فحل بالروض نسجا رائق الحلـــل

زهر من النور حلت روض أرضهم زهرا من النور ضافي النبت مكتهل

من كل غصن نضير مورق خضر وكل نور نضيد مونق خضــــل

تحية أحية الاحياء من مضر بعد المضرة تروي السبل بالسبل

دامت على الارض سبعا غير مقلعة لولا دعاؤك بالاقلاع لم تـــزل

ويوم زورك بالزوراء إذ صدروا من يمن كفك عن أعجوبة مثـــل

والماء ينبع جودا من أناملها وسط الاناء بلا نهر ولا وشــــل

حتى توضأ منه القوم واغترفوا وهم ثلاث متين جمع محتفـــــل

أشبعت بالصاع الفا مرملين كما ارويت الفا ونصف الالف من سمل

وعاد ما شبع الألف الجياع به كما بدوا فيه لم ينقص ولم يحـــل

أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في عصر البيان فضلت أوجه الحيـــل

سألتهم سورة في مثل حكمته فتلهم عنه حين العجز حين تلـــي

فرام رجس كذوب ان يعارضه بسخف إفك فلم يحسن ولم يطـــل

متبج بركيك الافك ملتبس ملجاج بردىء الـــزور والخطــــل

يمج أول حرف سمع سامعه ويعتريه كلال العجـــز والملـــل

كأنه منطق الورهاء شذ به لبس من الخبل أو مس مـــن الخبــــل

امرت البير بل غارت بمجته فيها وأعمى بصير العيـــن بالتفـــل

وأيبس الضرع منها شؤم راحته من بعد ارسال رسل منـــه منهمـــل

برنت من دين قوم لا قوام لهم عقولهم من وثاق الغـــي في العقـــل

يستخبرون خفية الغيب من حجر صلد ويرجون غوث النصر من هبـــل

نالوا اذى منك لولا حلم خالقهم وحجة الله بالانذار لم تنـــل

واستضعفوا أهل دين الله فاصطبروا لكل معضل خطب فادح جلل

لاقى بلال بلاء من امية قد احله الصبر فيه أكرم النـــزل

إذ اجهدوه بضنك الاسر وهو على شدائد الازل ثبت الازر لم يزل

القوه بطحا برمضاء البطاح وقد عالوا عليه صخورا جمة الثقل

يوحد الله اخلاصا وقد ظهرت بظهره كندوب الطل في الطلل

إن قد ظهر ولي الله من دبر قد قد قلب عدو الله من قبل

نفرت في نفر لم ترض انفسهم إذ نافروا الرجس الا القدس من نفل

بأنفس بدلت في الخلد اذ بدلت عن صدق بذل ببدر اكرم البدل

من كل مهتصر لله منتصر بالبيض مختصر بالسمر معتقل

يمشي إلى الموت عالي الكعب معتقلا اظما الكعوب كمشي الكاعب الفضل

قد قاتلوا دونك الاقيال عن جلد وجالدوا بجلاد البيض والجدل

وصلتهم وقطعت الاقربين معا في الله لولاه لم تقطع ولم تصل

وجاء جبريل في جند له عدد لم تبتذلها اكف الخلق بالعمل

بيض من العون لم تستل من غمد خيل من الكون لم تستن في طيل

أحبب بخيل من التكوين قد جنبت لجانب عن جناب الحق معتزل

اعميت جيشا بكف من حصى فجثوا وعقلوا عن حراك النقل بالنقل

ودعوة بفناء البيت صادقة غدا أمية منها شر منخزل
غادرت جهل أبي جهل بمجهلة وشاب شيبة قبل الموت من وجل
وعتبة الشر لم يعتب فتعطفه منك العواطف قبل الحين في مهل
وعقبة الغمر عقباه لشقوته ان ظل من غمرات الخزي في ظلل
وكل أشوس عاتى القلب منقلب جعلته في قليب البير كالجعل
وجاثم بمثار النقع مشتغل بجاحم من أوار الثكل مشتعل
عقدت للخزي في عطفي مقلده طوق الحمامة باق غير منتقل
امسى خليل صغار بعد نخوته بالامس في خيلاء الخيل والخول
دام يديم زفيرا في جوانحه جنح من الشك لم يجنح ولم يمل
يقاد في القد خنقا مشربا حنقا يمشي به الذعر مشي الشارب الثمل
اوصاله من صليل الغل في علل وقلبه من غليل الغل في غلل
يظل يحجل ساجي الطرف خافظه من مسكة الحجل لا من مسكة الخجل
ارحت بالسيف ظهر الأرض من نفر ازحت بالصدق منهم كاذب العلل
تركت بالكفر صدعا غير ملتئم فئاب عنك بقرح غير مندمل
وافلت السيف منهم كل ذي اسف على الحمام حمـــاه آجل الاجل
قد اعتقته عتاق الخيل وهو يرى به إلى رق موت رقـــــة العرل
فكم ببكة من بـــــاك وباكية بفيض سجل من الآماق منسجل
وكاسف البال بالى الصبر جدت له بوابـــل من وبـــال الخزي متصل
فؤاده من سعير الغيظ في غلل وعينه من غزيـــر الدمع في غلل
قد اسعرت منه صدرا غير مصطبر وحملت منه صبرا غـــــير محتمل
ويوم مكة إذ اشرفت في امم يضيق عنها فجاج الوعث والسهل

خوافق ضاق ذرع الخافقين بها في قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب عرموم كزهاء الليــل منسجل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم في بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب متوج بعزيــز النصر مقتـــبل
يسمو أمام جنود الله مرتديــا ثوب الوقـــار لأمر الله ممتثـــل
خسعت تحت بهاء العز حين سمت بك المهابة فعل الخاضـــع الوجل
وقد تباشر أملاك الســـماء بما ملكت إذ نلت منه غايــة الأمـــل
والأرض ترجف من زهوومن فرق والجو يزهر اشـــراقا من الجـــذل
والخيل تختال زهوا في اعنتها والعيس تنثال رهوا في ثنى الجـــدل
لولا الذي خطت الأقلام من قدر وسابق من قضاء غيــر ذي حـــول
لهل ثهلان بالتهليل من طـــرب وذاب يذبـــل تهليلا من الذبـــل
الملك لله هذا عز من عقـــدت له النبوة قبـــل العـــرش في الأزل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمـــد قد زارت كتائبـــه كالأسد تزأر في أنيابهـــا العصـــل
فويل مكـــة من آثار وطئـــته وويل ام قريش من جوى الهبـــل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم تلمم ولا باليم اللـــوم والعـــذل
أضربت بالصفح صحفحا عن طوائلهم طولا اطال مقيل النوم في المقل
رحمت وأشج أرحام أتيح لهـــا تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف مبارك الوجه بالتوفيـــق مشتمـــل
أزكى الخليفة اخلاقا وأطهرهـــا وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زاد الخشوع وقار منه في خفر أرق من خفـــر العـــذراء في الكلل

وطفت بالبيت مجبورا وطاف بها من كان عنه قبيل الفتح في شغـــل
والكفر في ظلمات الخزي مرتكس ثاو بمنزلة البهموت من زحــــــل

حجزت بالامن اقطار الحجاز معا وملت بالخوف عن خيف وعم ملل
وحل امن ويمن منك في يمـــــن لما أجابت إلى الايمان عـــن عجـــل
واصبح الدين قد حفت جوانبه عزة النصر واستـــوى على الملـــل
قد طاع منحرف منهم لمعتـــرف وانقاد منعـــدل منهـــم لمعتـــــدل
احبب بخلة أهل الحق الخلـــــل وعـــــز دولته الغراء في الـــدول
ام اليمامه منـــــه يوم مصطلم وحل بالشام شؤم غير مرتحـــــل
تعرقت منه أعراق العراق ولم يترك من الترك عظما غير منتشل
لم يبق للفرس ليث غير مفترس ولا من الحبش جيش غير منجفل
ولا من الصين صون غير مبتذل ولا من الروم مرمى غير منتضـــل
ولا من النوب جذم غير منجدم ولا من الزنج جذل غير منجـــدل
ونيل بالسيف سيف النيل واتصلت دعوى الجنود فكل بالجلاد صلي
وسل بالغرب غرب السيف اذ شرقت بالشرق قبل صدور البيض والاسل
وعاد كل عـــــدو عـــز جانبه قد عـــاذ منك ببذل منـــه مبتـــذل
بذمـــة الله والايمـــان متصل أو من شبا النصل بالاموال منتصـــل
يا صفوة الله قد اصفيت فيك صفأ صفو الوداد بلا شوب ولا دخـــل
ألست أكرم من يمشي على قدم من البرية فوق السهـــل والجبـــل
وازلف الخلـــــق عند الله منزلة إذ قيل في مشهد الاشهاد والرســـل
قم يا محمد فاشفع في العباد وقل تسمع وسل تعط واشفع عائدا وسل
والكوثر الحوض يروي الناس من ظمإ برح وينقع منه لاعـــــج الغلل

أصفى من الثلج إشراقا مذاقــته أحلى من اللبن المضروب بالعسل
نحلتك الــود علي إذ نحلتكــه أحبى بحبك منه أفضــل النحــل
فما بجلدي بمس النار من جلد ولا لقلبى بهول الحشر من قبــل
يا خالق الخلق لا تخلق بما اجترمت يداي وجهي من حوب ومن زلل
واصحب وصل وواصل كل صالحة على صفيك في الاصباح والأصل

قلت قد ابدع هذا الناظم رحمه الله تعالى في ما نظم وشرف هذه القصيدة بقصيده الجميل فيها وعظم فراقت معنى ومنظرا. وشاقت حسنا ومخبرا. فهي كما وصفها أبو عبد الله المصري حين قال يئست من معارضتها الاطماع وانعقد على تفضيلها الاجماع. فطبقت أرجاء الأرض واشرقت منها في الطول والعرض. على أنه رحمه الله قد أكثر فيها لأجل الصناعة التصنع. وتكلف منها ماهو بعيد المرام شديد التمنع. واعترض في كل معنى عرض. وربما أخرق الترع فخالف الغرض كقوله فويل مكة من آثار وطئته البيت. وقوله وحل بالشام شؤم غير مرتحل وما جرى هذا المجرى من كلامه رحمه الله. ولكن قصيدته بالجملة قد حلت من البلاغة في حصن ممنع. وجلت زهاه الحسن أن يتقنع. فان أنكرت من وصفها قولا أو سمعت في مدحها تخطيط لولا احردت متأملة وأنشدت متمثلة «رجز»:

ما سلم البدر على حسنه كلا ولا الظبي الذي يوصف
البدر فيه كلف ظاهــر والظبي فيه خنس يعــرف

وقد اولع الناس بها كل الولوع. واستحسنوا من محاسنها كل مفروق ومجموع وعنوا بها شرحا وتخميسا وعمروا بها معهدا أنيسا. فخمسها وشرحها أبو عبد الله المصري. وقد قرأت تخميسه على صاحبنا الفقيه أبي عبد الله بن هريرة. وحدثني به عنه قراءة واوله«بسيط»:

ابدأ بحمــد الذي اعطى ولم تســل وذد به ريب رين الاين ولاكسل
فالحمد أحلى جنى من طيب العسل الحمد لله منا باعث الرســـل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

وهو تخميس لابأس به وسماه بسمط الهدى في الفخر المحمدى وخمسها أيضا الفقيه الأديب الفاضل القاضي أبو عمر وعثمان بن عتيق المعروف بابن عريهة. وقيده صاحبنا أبو عبد الله عريهة بالتاء. وهو من المشاهير بإفريقية. وشعره مجموع وقفت عليه بخطه. وأكثره قعقعة ماترسل بغيث مزنا. وكما قيل جعجعة ولا أرى طحنا. وقد قراة تخميسه على شيخ من أصحابه يعرف بأبي اسحاق التلمساني. وحدثني به عنه قراءة وأوله«بسيط»:

أربع من العلم الاسنى على طلل　　فكم ضحيت ولم تفزع إلى ضلل
وان عشوت إلى نار الهدى فقل　　الحمد لله منـــا باعـــث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

وخمسها أيضا الفقيه الأديب الفاضل الا وحد أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش رحمه الله. وهو من المتقنين المجيدين وذوي الفضائل المبرزين واعتنى بها اعتناء تاما. وتصرف فيها على أوجه كثيرة من تخميس وغيره. وكرر تخميسها ثلاث مرات وسماها القرب الثلاث. حدثني بها كلها عنه صاحبنا الفقيه أبو عبد الله بن هريرة اجازة ومناولة في أصله بخطه الذي قرأه عليه. وقد علق بحفظي مطلع أول تخميس منها وهو قوله«بسيط»:

عزل الشباب قضى ان المشيب ولي　　فما التغزل من قولي ولا عملي
حمد الاله ومدح المصطفى املـــي　　الحمد لله منا باعث الرســـــل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

ومن تأمل هذه البداية وتمكنها ومناسبة هذه الأقسام. رأى قدر التفاوت فيما بين هذا النظم والذي قبله. اما تمكنها فلانه لما جارت عادة الشعراء بالافتتاح بالتغزل وطأ الافتتاح بغيره بما ذكر من ان الوقت الائق به التغزل هو عصر الشباب وان الائق بعصر الشيب هو

ذكر الله والاقبال على الحمد لله. واحسن الاستعارة في ذكر الولاية والغزل. ولما رأى أن البيت متضمن لمغنيين حمد الله تعالى ومدح رسوله صلى الله عليه وسلّم. وطأ لهما معا في القسم الذي قبله حتى جاءت الأقسام والبيت في غاية التناسب كأنها نظم رجل واحد. وما ذكر من الولاية والغزل في الشباب والشيب استعارة حسنة واقعة موقعها وقد كان هذا المعنى عرض لي قديما فنظمته في بيت من قصيد. وزدت فيه معنى آخر. وهو ان الشيب لما ولي قام بأعلى الرأس خطيبا لما كان من شأن الوالي الخطبة والصعود لها على المنبر وحسن ان يستعار ذلك للشيب لما كان نذيرا زاجرا فقلت في ذلك«طويل»:

شبابي وال جاء شيبي بعزله فقام بأعلى الرأس أي خطيب

وقرأت أيضا على صاحبنا أبي عبد الله تخميس أبي عبد الله المصري لقصيدة الشيخ الفقيه العالم الصالح الأوحد أبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي. وقد وسمه بعجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية وهي قصيدة مشهورة تسمى أم الفرج. قال أبو عبد الله المصري كان منشئها رحمه الله أنشأها عند شدة هالته فأقشعت. بفضل الله للحين وزالت وعادت الحال إلى أحسن ما كانت عليه وآلت لرؤيا رآها الباغي عليه قطع بها وروع بسببها فكفت يده

العادية وردت غائلته البادية. فهي لهذه المزية من أوثق العدة واوفق أسباب الفرج بعد الشدة. وكان بعض الشيوخ يحظ على حفظها وأخذ النفس منها بحظها قلت فرأيت ان اثبت القصيدة بتخميسها لما وصف من بسطها لمقبوض الوحشة وتأنيسها نظرا إلى الأمر المقصود والمعنى المعتبر وأغضاء عن اللفظ بعيبه في مثل هذا مغتفر. وقد قرأتها بتخميسها على صاحبنا أبي عبد الله. وحدثني بها عن مخمسها المذكور قراءة عن الأديب أبي عبد الله محمد بن يونس بن عبد الرحمان الهينتاتى التونسي قراءة بها عليه عن الفقيه أبي العباس أحمد بن علي بن أبي بكر الميري القلعى يعرف بالبلاطي عن الفقيه الإمام أبي محمد عبد الله بن ميمون بن محمد بن الغنام القلعي عن الفقيه الإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي بن عبد الله الاذني بالذال المعجمة والنون. ويعرف بابن الرماح عن أبي الفضل بن النحوي. ونقلت هذا السند من خطابي عبد الله المصري بتخميسها فقال«المتدارك»:

يامـــــن يشكو الم الحرج ... ويرى عسرا قرب الفــــرج
ابـــشر بشدا فـــرج ارج ... اشتدي ازمــــة تـــــنفرج

قد آدن ليلـــــك بالبلـــج

وارتـــح للروح فلا حرج ... فمراقي اللطف لهـــــا درج
ومعــــاني الضيق لها فرج ... وظلام الليـــل لـــه ســـرج

حتى يغشاه أبـــو الســرج

اليأس لـــدى البلوى خطر　　واليأس مـــع النعــمى بطـــر

والقلب له ابـــدا وطرا　　وسحـــاب الخير لهـــا مطـــر

فـــاذا جاء الابـــان تجـــى

والغافـــل عن هذا همـــل　　والنفـــس تملكها الأمـــل

وملاك الخـــير هو العمل　　وفـــوائد مولانا جمـــل

لسروح الأنـــــفس والمهج

عم الأكوان نـــدى وجـــدى　　فعلى الآفـــاق شموس هدى

ورياض الجـــود تمد يـــــدا　　ولهـــا ارج محـــي ابـــــدا

فاقصد محـــيا ذاك الارج

لله نسيـــم حـــــيا أحـــي　　ومســـير طريق مـــــا أعيى

فالزمـــــه فربتمـــا أعيـــى　　ولربتما فـــــاض المحيـــــا

ببحور المـــــوج من اللجج

ذو العـــــقل يقوم بسيده　　ومســـــدده ومـــــــؤيده

ومـــــــصرفه ومـــردده　　الخلق جميـــــعا في يـــــده

فـــذوو سعة وذوو حـــرج

ونزاعـــــهم ونزوعـــهم　　وقـــــناعتهم وقـــــنوعهم

وســـــلوهم وولوعـــهم　　ونـــــزولهم وطـــلوعـــهم

فعلـــى درك وعلـــى درج

ومطالعـــــهم ومراقبهم　　وطوالعـــــهم وثواقبـــهم

ومـــــثالبهم ومناقبهم　　ومعانشـــــهم وعواقبـــهم

ليست في المشي علـــى عوج

نفس عدلت نفس ظلمت　　نـــفس سلـــمت نفس ألـــمت

نفس جهلت نفس علمت　　حكم نسجت بـــيد حكـــمت

ثم انتسجـــــت بالمنتسج

هذي دخلت هذي خرجت　　هذي بقيت هذي درجت

هذي سفلت هذي عرجت　　فإذا اقتصدت ثم انعرجت

فبمقتصـــد وبمنعـــــرج

فاضت بحـــرا فيه لجـــج　　صدت قومـــا لما انتهجـــوا

وهدت قوما فيها ابتهجوا　　شهدت لعجائبها حجج

قـــامت بالأمر على الحجج

إقرع بابي امل ورجـــا　　واسلك هولا واركب لججا

فرجاء الله هدى ونجـــا　　ورضى بقضاء الله حجـــى

فعلـــى مركوزتـــه فعج

احفظ أنفاسك كالسعدا　　واحذر أن تذهب عنك سدى

وانعم باللائح حين بـــدا　　وإذا انفتحت أبواب هـــدى

فاعجـــل لخزائنها ولـــج

وتـــوخ بقصدك آيتهـــا　　وارفـــــع بالهمة رايتـــــها

وانهض كي تدرك غايتها　　وإذا حـــــاولت نهـــايتـــها

فاحذر إذ ذاك من العرج

أتـــرك أمرا يجنيـــك أذا　　والزم ذكرا يجزيـــك غـــدا

واهجر هجرا وهوى وقذا　　لتكون مـــن السبـــــاق إذا

ما جئت إلى تلك الفــرج

برهان الحــق وحجتــه ولســـان الصدق ولهجتــه

وطريق الرشد ونهجتــه فهنــاك العيــش وبهجتــــه

فلمبــتهــج ولمنــتهــج

نفس رضيت بالله جــدت شكرت نعما مهمى شكرت

وكذلك إن بخلت جحدت فهج الأعمــال إذا ركدت

فإذا مــاهجت إذاً تهــج

نفس كثفــت فزجاجــتها فبثت بالهــجر مجاجتهــا

وبدت في الذنب لجاجتها ومــعاصي الله سماجتهــا

تزدان لذي الخلق السمج

عرج عن ســاج مساحتها واقبض راحا عن راحتــها

فلتقـــوي الله وراحتهــا ولطاعتــه وصباحتـــها

أنوار صبــاح منبلــج

فادخل في منســب منصبها واسلك في مسلك مكسبها

واسمك في مطلــع مطلبهــا من يخطب حور الخلد بهــا

يظفر بالحور وبالغنــج

يامن بالحسن هوى علقــا جرد عزمــا وانف العلقــا

حورا عينــا تهوى علقــا فكـــن المرضي لها بتقــى

ترضاه هوى وتكون نج

بمعاصي الله القلــب أذي وبطاعتـــه عوفي وغــذي

فيها من كل حلاك خذي واتـــل القرآن بقلب ذي

حزن وبصوت فيـــه شج

فحجاب النفس وآفـتها	عجب توليــه سلافتــــــها
وأمان الطـــرق مخافـتها	وصلاة الليـــل مسافتــــــها

فاذهب فيها بالفهم وجي

واعمـــر بالذكر معانيها	واقطف بالفكر مجانيــــــها
والزم ما عشت مغانيها	وتأملهــــــا ومعانيـــــــــها

تـــأتي الفردوس وتنفرج

والهج بلطائـــف محجرها	وابهـــج بطرائـــف متجرها
وبمــــــبردها ومهجرها	واشرب تسنيـــم مفجرها

لا ممتـــزجـــا وبممتـــزج

ما من خلق أنشـــاه سدى	كل بالأمر بـــدا وغـــدا
أعمى من شاء أزلا وهدى	مدح العقل الآتيه هـــدى

وهـــوى متـــول عنه هج

هــــــذا بحر وإفاضــــته	مـــا غضت منه إغاضته
والصعب تقدم راضتـــه	وكـــتاب الله رياضـــته

لعـــقول الخلـــق بمندرج

أسباب الخوف حداهم	وأولوا التشبط عداتـــهم
وله لا تكمـــل ذاهم	وخـــيار الخلق هداتـــهم

وسواهم من همج الهمج

جنب عبدا جهلا غفلا	واتـــرك بدرا إما أفـــلا
وحز الإقدام تحز نفلا	فإذا كنت المقـــدام فلا

تجزع في الحرب من الرهج

وارقب برقا للسر بدا وامــدد لكريم الوعد يدا

واعمر أوقاتك مجتهدا وإذا أبصرت منار هدى

فاظهر فردا فوق الثبــج

لله جبــاه قد سجــدت في جنح الليل وما هجدت

أضناه الشوق وما وجدت وإذا اشتاقت نفس وجدت

ألمــا بالشوق المعتلــج

أهــواه النفس مماحكة ورياض الأنس ملاحكــة

وشموس الفضل مضاحكة وثنايا الحسنى ضاحكــة

وتمام الضحك على الفلج

وبروق الرحمــة قد لمعت وغيوث النعمة قد همعت

ومعاني الحكمة قد جمعت وغياب الاسرار اجتمعت

بأمانتهــا تحت الشــرج

شمر بطريقك لاحبــة واسلك قصدا بمصاعبة

فالقصد هدى لمصاحبه والرفق يدوم لصاحبه

والخــرق يصير إلى الهــرج

واقمع شهواتك بالزهــد واكحل أجفانك بالسهد

وصل الصلوات لمن يهدي صلوات الله على المهدي

الهــادي الناس إلى النهــج

وإمام الخلق وخيرتــــه ووسيلــته وذخــــيرته

وعــلى خلصان عشيرته وأبي بكــر في سيرتــه

ولسان مقالتــه اللهــج

الشاهر لسيف صرامته		ومجهز جيش عرامتــه

لمسيلمـــة ويمامتــه		وأبي حفص وكرامتــه

في قصـــة ساريـــة الخلـــج

قالي الدنيا ذي الطمرين		ومزيل الريب مع الريـــن

ومذيق الكفر المريـــن		وأبي عمرو ذي النوريـــن

المستهدي المستحي البهـــج

قال الشيخ أبو عبد الله رحمه الله هذا النظم على أن الشطر النون وهو الذي تسبق إليه الظنون. وأما على أن الشطر اللام هو الذي يرتضيه الأعلام. فيكون الرصف والنظام والوصف الذي يقتضيه الإعظام:

المنعم في الأواء المجمـــل		والمعمل للشورى المكمـــل

والقامـــع للشرك المحمـــل		وأبي عمرو ذي النوريـــن

المستهدي المستحيي البهـــج

جلا عن جيش العسر أذى		وحمى عن عين الحق قـــذى

وأخـــا عين رقمت وقذا		وأبي حسن في العلـــم إذا

وافى بســـحانـــه الخلـــج

بـــدر يلتـــاح بهالتـــه		ويـــدل بنـــور دلالتـــه

وغيـــوم علوم مقالتـــه		تزهو الدنـــيا بجلالتـــه

ومحـــب فيه بـــذاك حـــج

وعلى باقي تلك العشـــرة وذوي الرضوان لذي الشجرة

وليـــوث صحابته الخـــيرة ونجـــوم هدايته البــــررة

أهـــل الإخلاص مع الثلـــج

زاد المصري رحمه الله«متقارب»:

رب هب لي عملا بعلي يشفي ظمني ويقي عملـــي

ويحقق في الزلفى أملي وارحم النحوي مع ابن علي

بجلال علاك من الوهـــــج

قلت وفي كثير من هذا التخميس مقال. وليس لبعض أقسامه بالبيت اتصال. وأما خمس به أولا قوله: وأبي عمرو ذي النورين فغلط لا شك فيه لأنه يؤدي إلى قطع همزة المستهدي وبقطعها ينكسر البيت لزيادة حرفين على وزن الخبب. وأظن أنه نبه على هذا و لم يفته علما. فلذلك بقي على اعتقاد صحة الوجه الأول. وأما قوله صلوات الله على المهدي فأظنه خفف فيه الياء وقطع الهمزة بعدها ليأتي له التخميس. لأن الأقسام تبنى على الترنم كحرف الروي. وذلك موجب للمد. والادغام يمنعه ولو بنى الأقسام على الياء المشددة كما هي في عروض البيت لزاد حرفا في أول القسم الرابع

ضرورة. لأن حركة الياء تكون إذا في كل قسم معدودة من الذي بعده لادماج البيت. فاذا عدت من القسم الرابع وقد قام وزنه كانت زائدة وانكسر الوزن ضرورة وبالله التوفيق. وقرأت أيضا على صاحبنا أبي عبد الله كتاب المذهبه في الحلي والشيات. ثم قرأت عليه جميعها في المرة الثانية حسبما يأتي ذكره إن شاء الله. وحدثني بها عن الشيخ الفقيه العالم أبي الجيش محمد بن ابراهيم بن أحمد الأنصاري قراءة عليه وعن أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الأزديني بياء ونون بعد الدال كلاهما عن ناظمها الشيخ الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن أصبغ بن المناصف رحمه الله. وقد رأيت أن أقيد هنا أشياء مما وقع كلامي فيه بمدينة تونس كلأها الله تعالى مستعينا بالله ومستهديا له، فمن ذلك أن بعض أصحابنا من طلبتها حفظهم الله حكى لي عن الفقيه الزاهد المتصوف أبي محمد المرجاني أنه سئل في مجلسه عن سبب فرار الشيطان من الأذان فقط دون الصلاة وشأنها أعظم، ثم أجاب عن هذا بأجوبة منها أنه يفر من الأذان لئلا يشهد به للمؤذن إذ لا يسمعه شيء إلا شهد له يوم القيامة، قلت كأنه من فرط حسده يروغ عن الشهادة لمن حسده بفضيلة أو حق، وإن كان في غنى عن شهادته لقيام غيره بها. ولكن هذا الجواب يرد عليه مثل

الشؤال الأول. وهو لم خص الأذان بشهادة كل شيء سمعه دور
الصلاة. فكأنه سئل لم خص الأذان بفرار الشيطان منه. فقال لأن
خص بشهادة الأشياء له. ومنها أن الأذان بمثابة دعاء الملك لخاصته
لحضور سر. وإذا دعا الداعي تميزت خاصة الملك من غيرهم. قلت
وهذا جواب غير محصل. فإن التمييز إنما يكون عند حضور السر
فكان فرار الشيطان من الصلاة أنسب لهذا المعنى إذ هي السر الذي
دعي إلى حضوره. وقد سماها النبي صلى الله عليه وسلّم، مناجاة فقال
إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به. ومنها أنه يفر من الأذان
ويرسل على المصلي ليقع اختبار المخلص من غيره. قلت وهذا قاصر
جدا فإنه لم يزد على ما في الحديث من تسلطه في الصلاة وعدم
تسلطه في الأذان ولم يجب عن السؤال بشيء. وهذه الأجوبة على
وهيها أمثل ما حكي لي عنه وقد كنت أجبت الناقل عنه حين أورد
السؤال علي قبل أن يذكر لي أجوبته. فإنه يمكن أن يقال إن طاعة الله
بالجملة محاربة للشيطان، وجهاد له. والعدو إنما يفر عند كشف
الغطاء وبلوغ الغاية في المجاهرة بالعداوة. وليس في العبادات ابلغ من
هذا المعنى من الأذان. وقد عرضت هذا الوجه على الشيخ الفقيه
الصالح أبي محمد عبد الله بن السيد بمدينة طرابلس فاستحسنته وقال

لي إن هذا يؤكده قوله صلى الله عليه وسلّم: ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقل داع ترد عليه دعوته حضرة النداء للصلاة والصف في سبيل الله. يعني أهما ساعتا جهاد. وأجاب عن هذا بعض اصحابنا بأن المؤذن داع إلى الخير. والشيطان داع إلى الشر. والضدان لا يجتمعان. وهذا مليح رشيق. وفي مثل هذا المجال متسع للكلام وبالله التوفيق. وأما تخصيص الأذان بالشهادة له فيمكن أن يقال إن ذلك لأنه دعاء إلى الله وإقامة حجته على عباده. فاحتيج إلى الشهادة على التبليغ كما احتيج إليها للفصل بين المتحاكمين. فهذه الشهادة كشهادة الأمة يوم القيامة بتبليغ الانبياء إلى الأمم على ما جاء فيالحديث والله أعلم. ومن ذلك أن سائلا سأل عن قوله تعالى: ﴿ **أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾ وقال ولما كرر لفظ إحداهما والأليق بالإيجاز أن يضمر فيكون اللفظ: فتذكرها الأخرى وأجبت إذ ذاك بجواب غير مخلص حسبما حضرني وإن لم يكن لمن حضر فيه جواب. ثم من الله عز وجل بفهم المعاني في ذلك وهو ما أرى والله أعلم. وهو أن إعادة لفظ غحداهما لتعادل الكلام وتوازن الألفاظ في التركيب وتماثل أقسام الكلام في ما اشتملت عليه من المفردات وهو المعنى في الترصيع. ولكن هذا أبلغ وابدع لأن الرصيع

توازن الالفاظ من حيث صيغتها. وهذا من حيث تركيبها. فكأنه ترصيع معنوي. وقل ما يوجد إلا في نادر من الكلام. وقد استغرب أبو الفتح بن جني ما حكي عن المتنبي في قوله«طويل»:

وقد عادت الأجفان قرحا من البكا وعادت بهارا في الخدود الشقائق

قال سألته هل هو قرحى ممال أو قرحا منون. فقال لي قرحا منون ألا ترى أن بعده وعادت بهاراً قال يعني أن بهاراً جمع بهارة وقرحاً جمع قرحة. ثم أطنب في الثناء على المتنبي واستغرب فطنته لأجل هذا. وبيان ما ذكرت في الآية أنها متضمنة لقسمين، قسم الظلال وقسم التذكير فأسند الفعل الثاني إلى ظاهر حسب الاسناد الأول ولم يوصل بضمير مفعول ليكن الأول لازما فآتي بالثانية على صورته من التجرد عن المفعول.أثم تى به أخيرا بعد اعتدال الكلام وحصول التماثل في تركيبه ولو قيل إن المفعول حذف لكان أبلغ في المعنى المذكور. وتكون الأخرى نعتا أو بدلا على جهة البيان كأنه قال إن كان ضلال من احداهما كان تذكير من الأخرى. وقدم على الأخرى لفظ إحداهما ليسند الفعل الثاني إلى مثل ما اسند إليه الأول لفظا ومعنى والله أعلم، ولما وقع السؤال في هذا عرض في السؤال في قوله تعالى في هذه الآية:﴿ **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان** ﴾

وهو أن الضمير في يكونا للرجلين لأن الشاهدين قيدا باهما من الرجال فكأن الكلام: فإن لم يكن الرجلان رجلين وهذا محال. ولما سألت عن هذا لم يجب عنه أحد. ثم أجابوا بعد ذلك بأجوبة غير مرضية. منها ما قال الفارسي **في قوله تعالى:﴿ فإن كانتا اثنين﴾** إن الخبر هنا أفاد العدد المجرد من الصفة. وهذا ضعيف إذ وضع فيه لفظ الرجلين موضع لفظ الاثنين وهو تجوز بعيد. والصفة التي ذكر الفارسي التجرد منها هي الرجولية أو الأنوثية أو غيرهما من الصفات. فكيف يكون لفظ موضوع لصفة ما دالاً على نفيها. وأيضا فإن جواب الفارسي فيه نظر. وذلك أنه لم يزد على أن جعل نفس السؤال جوابا كأنه قيل له لم ذكر العدد وهو متضمن الضمير فقال لأنه يفيد العدد المجرد. فلم يزد إلا لفظ التجرد. ومما أجابوا به أن رجلين منصوب على الحال المبينة وكان تامة. وهذا أظرف من الاول. فإنه سئل عن وجه النظم وأسلوب البلاغة ونفي ما لا يليق بها من الحشو. فأجاب بالإعراب و لم يجب عن السؤال بشيء. والذي يرد عليه وهو خبر يرد عليه وهو حال. وما زدنا إلا التكليف في جعله حالا. والذي يظهر لي من الجواب في هذا هو أن شهيدين لما صح أن يطلق على المرأتين بمعنى شخصين شهيدين قيده تعالى:﴿ **من**

رجالكم ﴾ ثم اعاد الضمير في قوله: فإن لم يكونا الشهيدين المطلقين. وكان عوده عليهما ابلغ ليكون نفي الصفة عنهما كما كان إثباها لهما. فيكون الشرط موجبا أو منفيا عن الشهيدين المطلقين لأن قوله من رجالكم كالشرط. كأنه قال: إن كانا رجلين. وفي النظم على هذا الأسلوب من الارتباط وتعانق الكلام وجريه على نمط واحد ما لاخفاء به كما أن ضده من الاختلاف والتزايل والتدابر والتخاذل ما يذهب رونق الكلام ويبلى جدة الفصاحة. وبالله التوفيق. والذي يظهر لي أيضا من الجواب في قوله تعالى:﴿ **فإن كانتا اثنتين** ﴾ هو أن الضمير هنا وضع موضع الظاهر اختصارا لبيان المعنى بدليل أنه لم يتقدمه مايعود عليه لفظا فكأنه قال: .فإن كان الوارث اثنتين. ثم وضع ضمير الاثنتين موضع الوارث الذي هو جنس باثنتين فيه تفاوت ما لكونه مفرد اللفظ. فكان الأليق بحسن النظم والأحرى على منهج الإيجاز أن يوضع المضمر موضع الظاهر. ثم يجري الخبر على من حدث عنه وهو الوارث فيجري الكلام في طريقه مع الايجاز في وضع المضمر موضع الظاهر والسلامة من تفاوت اللفظ في الاخبار عن لفظ مفرد بمثنى. وهذا لعمر الله مما لاينال إلا بالتأيد الإلاهي والعصمة الربانية. ونظير هذا مما وضع فيه اسم موضع غيره

إيجازا. ثم جرى الكلام مجراه في الحديث عمن هو له وان لم يذكر قوله تعالى:﴿ **وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون** ﴾ فعاد هذا الضمير والخبر على أهل القرية الذين أقيمت القرية في الذكر مقامهم. فجرى الكلام مجراه مع حصول الايجاز في وضع القرية موضع أهلها وفهم المعنى من غير كلفة. وهذه الغاية في البيان يقصر عن مداها شأو الانسان وبالله التوفيق. ثم وصلنا إلى مدينة القيروان. فدخلتها مجداً في البحث غير وان. فلم أر إلا رسوما محتها يد الزمان. وآثار يقال عنها كان وكان. والأحياء من أهلها جفاة الطبع. ملهم في رقة الحضارة باع. ولا في معنى من معاني الإنسانية انطباع. خفت نفس العلم بينهم فلم يبق به ومق. وكسدت سوق المعارف بينهم فياسخنة عين من رمق والمدينة نفسها ليس لها بر ولا بحر. ولا سحر ولا نحر. وضعت في سبخة قرعاء لا ماء فيها ولا مرعى ولا تنبت أصلا ولا تغل فرعا وما كان حالها في القديم إلا آية من آيات هذا الدين القويم. إذ أسسها المخلصون من أهله. المتمسكون بحبله. السالكون لحزنه وسهله. أهل الصرائم النافذة الماضية والصوارم القاضبة القاضية والهمم العالية الغالية. فرسان الحراب والمحراب وليوث الطعان والضراب رضي الله عنهم ما ساح

في الدر فرفد ولاح في الجو فرقد. وقد كان شأن القيروان في غابر الزمان بحيث لا يجهله إنسان. ولا يحصله لسان حسبك ببلد وضعت الأوضاع في فضله وملئت الأسماع من وصف وابله وطله. مأوى العلماء والصلحاء في حياتهم. وكفايتهم بعد وفاتهم. بلد يناضر به كل إقليم. ومتى ذكر علماؤه فليس إلا التسليم. ولكنها الأيام إذا أعطت أخذت وكلما عضت نبذت. لا توي على متعذر ولا تعرف فضل المعذر على المعذر إن سالمت سالمت وإن هادنت داهنت. وإن رافقت فارقت. ومهمى

حلت ما حلت. لاتبقي ولاتذر فليكن العاقل منها على حذر« بسيط »:

لا تطمئن إلى حظ حظيت بـــه ولا تقل باغتـــــرار صح لي وثبـــت

فما الليالي وإن أعطت مقادها إلا عرى المرء مهمى استمكنت وثبت

ولم أر بالقيروان ما يؤرخ ولا ما يتهمم بذكره سوى جامعها ومقبرتها أما جامعها فهو من الجوامع الكبار المتقنة الرائقة المشرقة الأنيسة. ووسطه فضاء متسع. وكان المؤسس له والمقيم لقبلته الرجل الصالح عقبة بن نافع الفهري المعروف بالمستجاب مع جماعة من الصحابة والتابعين. وهم المؤسسون لمدينة القيروان. ويحكى أنه لما أمرهم ببنائها قالوا له إنك أمرتنا أن نبني في شعاب وغياض. ونحن

نخاف من السباع والهوام فمضى معهم حتى وقف عليها وقال: أيتها السباع والهوام إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أردنا أن نترل ها هنا فارتحلن عنا.فرأى الناس عجبا. رأوا الأسود تحمل أشبالها والذئاب تحمل أجراها والحيات تحمل أولادها حتى ارتحلن جميعا. ويقال إنه قد مر عليها أربعون سنة لم تر فيها حية لدعوته رضي الله تعالى عنه. فلما بنوها طاف حولها عقبة وأصحابه ودعوا الله لها. وأسسوا مسجدها وأقام عقبة قبلته برؤيا رآها وإلهام. وقد سألت إمام جامعها ومن حضر معه عن سمت قبلته فلم أجد أحدا منهم يعرفه. و لم أبت به فأتعرف ذلك بالنجوم إلا أنه قوي عندي بالحدس أنها كما قيل إلى المنقلب الشتوي أو تميل يسيرا إلى الجنوب. ودخلنا به بيت الكتب فأخرجت لنا مصاحف كثيرة بخط مشرقي. ومنها ما كتب كله بالذهب. وفيها كتب محبسة قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبله. منها موطأ ابن القاسم وغيره. ورأيت بها مصحفا كاملا مضموما بين لوحين مجلدين غير منقوط ولا مشكول وخطه مشرقي بين جدا مليح. وطوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف. وذكروا أنه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه. إلى المغرب وأنه بخط عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله أعلم. وأما مقبرتها فهي من

المزارات العظيمة الشريفة وفيها من الأفاضل وأخيار الأمة ما يقصر عنه الوصف وبها قبر أبي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وقبره مشهور بها. وكذلك قبر الشيخ الولي الفقيه العالم أبي الحسن علي بن محمد القابسي رحمه الله. وأما قبر الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد رحمه الله فهو بداره داخل البلد في بيت منه على يسار الداخل. وقد زرته ودخلت البيت فوجدت فيه عدة قبور فسألت العجوز القيمة على دار عن قبره فأخبرتني أنه الذي في وسط البيت المقابل للباب. فنظرت تاريخه. فوجدته لغيره ثم أتيت الذي على يسار الباب وعيه دكان مبني فقرأت في حجر من رخام عند رجليه أنه قبر الشيخ أبي محمد. وأن وفاته كانت ليلة الجمعة الثامن والعشرين أو الثامن عشر من شعبان الشك مني سنة ست وثماني وثلاثمائة فعرفت الشيخ الفقيه المحصل أبا زيد عبد الرحمان بن محمد بما قالت العجوز وبما وجدت من التاريخ.فقال لي طرأ في ذك مشكل. وذلك أنه كان في ما مضى قد احتيج إلى تجديد السقف واستقبحوا الهدم عليهم،فأخرجت توابيتهم إلى بيت آخر،فلما أصلح السقف وأرادوا رد التوابيت أشكلت عليهم وكا الشيخ أبو محمد مدفوناً قبالة الباب كما ذكرت العجوز. فلما أعيد دفنهم غلب على ظنون

أكثر الناس أنه دفن على اليسار حيث الدكان والتاريخ. وقد بذلت وسعي إذ دخلت القيروان في البحث عمن بها من أهل العلم.فلم أجد بها من يعتبر وجوده ولا يسع جهله سوى هذا الشيخ الفقيه المحدث الراوية المتفنن أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عبيد الله النصاري الأسيدي من ولد أسيد بن حضير رضي الله عنه . ويعرف بالدباغ. لقيته يوم وردنا القيروان . فرأيت شيخاً زكياً حصيفاً ذا سمت رهيئة وسكون ظاهر.مجداً لأهل العلم حن الرجاء بر اللقاء لم يؤثر الكبر في جسمه على علو سنه. ولا تغير شيء من ذهنه وحواسه.سألته عن مولده .فقال لي سنة خمس وستمائة وهو حفظه الله من أهل التهمم والعناية بالعلم مع عدم المعتني به والطالب له. موطأ الأكناف لين الجانب جميل العشرة على سنن المشائخ من أهل العلم والفضل. أوحد وقته رواية ودراية. لقيت من بره وحسن خلقه ورقة شمائله ما لم إخل مثله باقياً. وما وجوده بالقيروا في هذا الأوان إلا من جملة بركات يلف أهله . وقد نيق شيوخه عن الثمانين . وله برنامج ضم فيه أسماءهم وما روي عنهم. وقد قرأت عليه بعضه. وأجازني في كل ما تضمنه وما شذ عنه من رواياته إجازة عمة . وكذلك أجاز ولدي محمداً وفقه الله. وكتب لي بذلك خط يده .

وقال لي مراراً إذا قضى الله حا جتك وحججت فلا تقم في البلاد فإني كثير الشفقة على ولدك وقد أوقع الله حبه في قلبي منذ ذكرته لي. ومن عجيب أخلاقه أني قل ما طلبت منه جزءاً لأنقل منه إلا وهبه لي وقد أعطاني أكثر من عشرة أجزاء من فوائده وفوائد شيوخه وغهارسهم. وقالي أنت أولى بها مني فإني شيخ على الوداع . وأنت في عنفوان عمرك ومن حين رأيتك أتغرز حبك في قلبي . وله مجموعت وتواليف ونظم جيد كثير ومشاركة في العلوم نقليها وعقليها وألف كتاباً حناً مفيداً في طبقت من دخل القيروان من الفضلاء مذ دخلها الاسلام إلى زمانه. وهو كبير في مجلدين وماه معالم الايمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان. وقد ذكر لي شيخنا الفقيه العالم إمام ديار مصر أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القسيري أنه كان كلف الفقيه الأوحد الفاضل أبا العباس الغماري التونسي رحمه الله استنساخ هذا الكتاب له حين صدر من المشرق . وأنه لما وصل إلى تونس اعتنى باستنساخه له حتى كمل ثم اعتنى بتصحيحه ومقابلته فلما فرغ منها توفي. فبيع في تركته . وأثنى على مؤلفه المذكور كما ينبغي وقد حدثني به مناولة . وسألته لم لم يذكر فيه أبا الحسن اللخمي

فقال لي لم يثبت عندي أنه دخل القيروان. وسألته عن تاريخ وفاته فقال لي توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. وذكر لي نه قرأ ذلك في حجر عند رأسه بمدينة سفاقس حرسها الله. ونا ولني صحيحي البخاري ومسلم في أصله منهما. وقرأت عليه بعض الأحاديث الثنائية الإسناد من حخديث مالك رضي الله عنه من تخريجه . وبعض أحاديثه التساعية من تواليفه وانتقائه. وناولني سائرهما . وناولني أجزاء من عوالي حديثه وحديث شيوخه وناولني اأحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين من تآليفه وحدثني حفظه الله بحديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراحمون يرحمهم الله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. وهو أول حديث سمعته منه عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن عثمان الحنفي سمع منه بالمهدية عام ثمانية وعشرين بسنده مسلسلاً وبحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى لله عليه وسلم . فما مسست خزاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنده مسلسلاً بالمصافحة . وبحديث عبد الله بن مسعود في التشهد مسلسلاً يأخذ اليد اليه .قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسم

بيدي فعلمني التشهد . التحيات لله والصلوات والطيبات. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين . أشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وفيه عن ابراهيم بن سعيد الجزهري رواية عن الحسين بن علي الجعفي أن هارون الرشيد قدم مكة فجلس عند الأسطوانة الحمراء.ثم قال للفضل بن الربيع بلغني أن الحسين بن علي الجعفي حاج فانظر إليه هو حتى آتيه .فقال له رجل هو ذك يصلي عند المقام. فقال الفضل أنا آتيك به يا أمير المؤمنين .فإنه أحق أن يأتيك فجاء الفضل فوقف عليه فقال له إن أمير المؤمنين عزم على إتيانك .فسلم الحسين ثم قال له أنا أحق أن آتيه .قال فانهض بنا . فجاء معه فاعتنقه هارون وسلم عليه وأجلسه إلى جنبه على مقعده . ثم أقبل عليه هارون وسأله عن حاله وسفره .قال ثم تنحى عنه حتى صار بين يديه وضرب بيده إلى قلم وقرطاس .ثم قال له تملي علي حديث عبد الله بن مسعود في التشهد .فقال: أخبرنا الحسن بن الحر قال أخذ القاسم بن مخيمرة بيدي وقال أخذ عبد الله بيدي كما أخذ بيدك. الحسن بن الحر .قال نعم .قال فتأخذ بيدي كما أخذ بيدك . قال فأخذ بيده في يده.قال فترك هارون يده وجعل

يقبل يد نفسه . وقال بأبي يد صافحت كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثني أيضاً وهو آخذ بيدي بسنده مسلسلاً إلى أبي الربيع الزهراني . قال حدثنا مالك وهو آخذ بيدي قال حدثنا نافع وهو آخذ بيدي قال حدثني ابن عباس وهو آخذ بيدي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي : من أخذ بيد مكروب أخذ الله بيده. وهذه الأحاديث كلها من مسلسلات الإمام أبي الحن علي بن المفضل المقدسي رحمه الله. وشيخنا الفقيه أبو زيد يرويها عن الفقيه المحدث الرواية أبي عمرو عثمان بن سفيا ن بن عثمان التميمي التونسي. عرف بابن شقر. ويقال ابن الشقر معرفاً عن الإمام أبي الحسن المقدسي المذكور . وقد ذكر في هذا أيضاً نحو ما تقدم عن الرشيد . وهذه المسلسلات قرأها كلها عن الفقيه الصالح أبي العباس أحمد بن محمد البطرني وسلسلتها معه. وحدثني بها عن ابن شقر المذكور قراءة . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى وأنشدني شيخنا أبو زيد وأعطانيه في ورقة بخطه. قال أنشدنا الفقيه المحدث أبو المكارم وأبو بكر محمد بن أبي أحمد يوسف الأنصاري هو ابن قطرال بثغر شاطبة وكتبه لي بخطه قال أنشدنا أبو الحجاج يوسف ابن محمد هو ابن الشيخ

البلوي وكتبه لي بخطه قال ابن مسدي وقرأت على أبي عبيد الله محمد بن أحمد التميمي قال أنشدنا أبو محمد عبد الله بن أبي الفضل القاضي بثغر الاسكندرية وكتبه لي بخط يده قال أنشدنا محمد بن ابراهيم البكري وكتبه لي بخطه قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن قاسم الطليطلي وكتبه لي بخطه قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى بطلبيرة لفسه وكتبه لي بخطه «وافر»:

رأيت الأنقباض أجل شيء وأدعى في الأمور إلى السلامة
فهذا الخلق سالمهم ودعهم فخلطتهم تقود إلى الندامـــة
و لا تعنى بشيء غير شيء يقود إلى خلاصك في القيامـــة

وأنشدني أيضاً قال أنشدني أبو عمرو بن الشقر عن أبي الحسن المقدسي عن الإمام أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي عن الخطيب أبي زكرياء بجى بن علي التبريزي عن ابي الحسن علي بن محمد الفالي لنفسه وهو بالفاء أخت القاف واللام المشددة كذا وجدته بخط ابن شقر ومنه نقلت اسند والشعر: «الطويل»:

تصدر للتدريس كل مهوس بليد تسمى بالفقيه المـــدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى أبان هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

وأنشدني أيضاً قال أنشدني أبو عمرو بن الشقر قال أنشدني الفقيه الزاهد المنقطع إلى الله سبحانه أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني بالاسكندرية لنفسه «متقارب»:

تأن في الأمر لاتكن عجـــلا فمن تأنى أصاب أو كـــــاد
وكن بحبل الالاه معتصمـــا تأمن بع بغي كل من كـــادا
فكم رجاه فنـــال بغيتـــــه عبد مسيء لنفسه كـــــادا
ومن تطل صحبة الزمان له يلق خطوباً به وأنكـــــاداً

وبنحوه له«متقارب»:

صن العقل عن لحظة في هوى فإن البصيرة طوع البصر
وغض الجفون على عفـــة فإن زناء العيون النظـــر

وبنحوه له«طويل»:

من الله فاسأل كل أمر تريده فما يملك الانسان نفعاً ولا ضراً
ولا تتواضع للولاة فإنهم من الكبر في حال تموج بهم سكراً

وإياك أن ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها إنها السجدة الصغرى

قلت:«قوله ولا تتواضع للولاة البيت ينظر إلى قول الأول«خفيف»:

قل لنصر والمرء في دولة السلطان أعمى ما دام يدعى أميـــرا
فإذا زالـــت الولايـــة عنـــــه واستوى والرجال عاد بصيراً

وفي نحو منه قول منصور الفقيه«متقارب»:

إذا عــزل المــرء واصلتــه وعند الولايــة أستكبـــــر

لأن الــولاة لهــم نبـــوة ونفسي على الــذل لاتصبر

ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي .قال صلى الله عليه وسلم: من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه وأرى هذا الحديث مبنيا على الحديث الآخر، وهو قوله، صلى الله عليه وسلم،: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لايحبه إلا لله .وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار.فصار من تواضع لغني لأجل غناه قد سقطت عنه الخصلتان الأوليان إذ صار الغناء أحب الأشياء اليه. وأحب المرء لغير الله. وإذا سقطت الخصلتان من الثلاث فقد ذهب الثلثان .فهذا وجه تخصيصهما والله أعلم. وأنشدني لابن جبير بمثل السند«خفيف»:

أيها المستطيــل بالغي أقصــر ربما طأطأ الزمان الرؤوســـا

وتذكر قــول الالاه تعالــى إن قارون كان من قوم موسى

وأنشدني له أيضاً بمثله وقد أظله عيد الأضحى بطندة قرية بمقربة من مصر«طويل»:

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة بأحواز مصر والأحبة قد بانوا

فقلت لخلي في النوى جد بدمعة فليس لنا إلا المدامع قربـــان

وأنشدني أيضا قال أنشدني بعض أصحاب أبي عمرو عثمان بن الحسن وهو ابن دحية المعروف بابن جميل عنه قال ولا أدري هل هو له أو تمثل به «طويل»:

ألا إن هذا الدهر يوم وليلـــة يكران من سبت عليك إلى سبت

فقل لجديد العيش لابد من بلى وقل لاجتماع الشمل لابد من شت

وأنشدني حفظه الله عند المودعة «خفيف»:

إن نعش نجتمـــع وإلا فمـــا أشغل من مات عن جميع الأنـــام

وهذا البيت يأتي ذكره ومن أنشده عند المودعة في موضعه إن شاء الله تعال. وقد نظمت بالقيروان قصيدة بعثت بها إلى ولدي محمد وفقه الله وكان شيخنا زين الدين بن المنير حفظه الله يستحسنها كثيراً وسمعها مني شيخنا الشريف الحسيب الفقيه الفاضل أبو الحسن علي بن أحمد القرافي. وقيدها بخطه . وكتب عليها سماعه .فرأيت إثباتها في هذا الرسم إذ هو أليق المواضع بها بحول الله تعالى وهي هذه«وافر»:

أصـــغ سمعـــا أوصـــك يابنـــي وصية والـــد بـــر حفـــي

جرى القـــدر المتاح لنـــا ببيـــن قضاء جاء مـــن ملك علـــي

وقد فتـــت نواكـــم في فـــؤادي وأشجت بالأسى قلب الخلي

وأبدلـــت المآقـــي عـــن كراهـــا دموعاً فيضهـــا مثـــل الأتـــي

ولولا أن حكم البين حتـــم يمر على المطاوع والأبـــي

لعاجلني الأسى بقضاء نحبـــي ووافتني النوى برد آو جي

ولكن كـــل جمـــع لافتـــراق ونشر العيش آخره لطـــي

فمر على المقابـــر باعتبـــار وسل تنبئك عن حي فحي

وقد شاهدت في الدنيا أموراً محرضة على نهـــج التقـــي

أمالك فـــي تقلبهـــا اعتبـــار يبين قبحها من غيـــر عـــي

ألم تر ما حبتك وأنـــت طفـــل فنون أذى هبا مثـــل الحبـــي

وذي جد أحلـــك من حشـــاه محل بشـــارة بعـــد النعـــي

وترك المنازل وثقاف عـــم بكم بر ونأي أب حفـــي

وذاك وإن أذاً بك غيـــر بـــدع فهذا دأبها مع كـــل حـــي

فكـــن بالله منهـــا مستغيضـــا كفى عوضا به من كل شيء

وكن متعففـــاً لفرقتهـــا ففيهـــا وصال تواصل العيش الهني

هي الطلل المحيـــل ومـــا بكاهـــا سوى غاو يهيم بوصل غي

يبكـــي فـــي منـــازل مقفـــرات ضلالاً سنه غيـــلان مـــي

وما زالت تـــرد الرفـــع خفضـــا وترمي بالسنـــاد إلى روي

سراب إن ظـــرت تقـــل شراب ولم يظفـــر فتى منـــه بـــري

فلا تسلك يـــا بني بهـــا ولوعـــاً وإن أبـــدت مطاوعـــة الأبي

هي العصيان شيمتهـــا .ولكـــن تغـــر الغر نـــادرة العصـــي

وكـــن بالله ذا ثقـــة تقيـــا ولا تغبط بنـــي سوى تقـــي

ونل بالزهـــد مرتبـــة المعالـــي	فلم يزهد سوى عال ســـري
وليـــس ســـواه للأرواح روح	يتيه به الفقيـــر على الغنـــي
فشد به يدك وكن ضنينـــــاً	بوجهك أن تعرضه لكـــي
ولا تبذله للأطماع يومـــــاً	فتخدشه بذا الخلق الدنـــي
وباعد ما استطعت حليف دنيا	تعلق حبها مـــن فرط غـــي
ولا يغررك أن أبـــدى خيـــالا	إلى قرب يصيـــر غير شـــي
فحظكما من الدنيـــا بـــلاغ	إلى لحد يسوي كـــل حـــي
بني يسوءني أن أراك عبـــــداً	لغير الواحد الصمد العلـــي
فكن عبداً له من غير شـــرك	وإلا تأت بالأمر الفـــــري
بنيّ تسؤني منك المعاصـــــي	فلا عمرت حنانك يا بنـــــي
قبيح أن أكون عصيت ربـــي	وتقفو أثر والـــدك العصـــي
يمر المشتهي كالبرق خطفـــــاً	ويترك حسرة الأمد القصـــي
تزين بالحيـــاء فليس وصـــف	يزان به الفتى مثل الحيـــــي
وجانب ما يقود اليـــه طبـــع	يرى طبعاً على الثوب النقي
وكن بالعلم ذا لهج فإنـــــي	أجزتك واستجزت كل حـــي
لكي تروي الحديث حديث سن	لأشياخ ذوي فهم سنـــــي
مصابيح الدجنة لـــو تراهـــم	رأيت بدور كل دجى دجـــي
لقيتهم وأنـــت هنـــاك ثـــاو	فيا للشكر للسعـــد القـــوي
محضتك يا بني النصح منـــــي	وحق النصح للولد الرضـــــي
وإن مد البقاء إلـــى لقـــــاء	كسوتك ما يزينك في النـــدي
فترفل في حلى حلل تسامـــى	إليهـــا كـــل حبـــر ألمعـــي

وأرجو ذاك من إنعام ربـــي   إلا هي مالكي ثقتي ولـــي
وأقرأ من سلامي كـــل زاك   عليك يفوح بالمسك الذكـــي
وأقربي ضعفه في كـــل حيـــن   بلا أمـــد علـــى خـــل وفـــي
يروح صبأ جرت ويفوح روضاً   بكى الوسمـــي فيـــه مع الولي
وباكـــره النسيم غداة صحـــو   فنشر نشره مـــن بعـــد طـــي
ومن ذي العرش أسأل أن يوالي   لكم صون الغدو مع العشـــي

ثم وصلنا إلى مدينة فاس ذات المخبر الخبيث والمحيا العابس هواء وخيم ولؤم طبع رخيم. وتَضييع المصليات والمساجد وقلة اعتناء بكل راكع وساجد. مغانيهم إلى النجوم عالية ومعانيهم أسفل التخوم هاوية إلى عفونات تخبو لقربها المصابيح وتنحو بالخول كل وجه صبيح. تفسد الألوان والاذهان وتضرم للمزاج المعتدل نار الحرب العوان. تنصب على مجانيق الطوى فتقذفه بجلاميد الخوى وترميه بسهام الروائح المنكرة عن قسي الأهوية المغيرة بأكف الأبخرة المكدرة.فما تلبث أن تحط علاه وتهيج للأقسام حماه. تنصب حواليه أنهار تشتعل بها في حشي الظمئان نار. ودارت به غابة من نخيل قد طلمست ثمرها بكف كل بخيل. فلو أتاها جبلة بن الأيهم أو حل حماها إبراهيم بن أدهم لم تنل إلا برقية الدينار والدرهم.

على أن الهواء العفن قد منعها الجفوف فليس لها على الخزيز والقثاء شفوف لأنها إذا أفردت عن أشجارها القطوف بدت العفونة بها تطوف. وأما العلم عندهم فقد ركدت ريحه. والجعل لديهم لا يوسى جريحه. علم لا يتطرف إليه الخصوص و ظافر جاء على وفق النصوص وهذا حكم استفدته من العيان ونتيجة الاختبار لهم والامتحان نعم بها آحاد الفضلاء والصلحاء كالشعرة البيضاء في اللمة السوداء. يستمطر بهم المزن إذا لم يسبل سبله. والنادر لا حكم له . وقد حضرت بجامعها شيخاً يشار إليه ويعول في وازل المسائل عليه. وحواليه جماعة من أعيانها وأهل الخطط من سكانها. فقرئى عليه في المرابحة من التلقين باب استبهم عليه فيه وجه الصواب. فخبطوا فيه خبط عشواء وأتوا أثناءه بكل شوهاء وشنعاء. فمما جرى في مسألة الغلط في الثمن بالزيادة أو النقص أن اعتبار القيمة فيها لتختبر صحة قول البائع أو المشتري. وهذ كلام لا يتحصل في الذهن فضلاً عن صحته وفساده. وقالوا إن القيمة لما اعتبرت بالثمن كان المعتبر إذاً هو الثمن. ثم نقضوا هذا الهواء بأن القيمة يضرب عليها الربح . وقالوا إن الثمن يعتبر دون ربح. وهذا هذيان أشد من الأول وما كفاهم ذلك حتى أخذوا في تحقيق ذلك من ألفاظ الكتاب

بتتريلها على وجوه الاعراب. وبعد مجاراة طويلة ومماراة ليست بقبليلة وقفتهم على ما أملوا من تلك القبائح التي لم يغد بمثلها غاد ولا راح رائح. واستبان لهم لما لاح في ليل خطبهم نهار أن بنيانهم كان على شفا جرف هار. ولولا ما أتوقع من جدال المهالك لم أشن وجوه الأوراق بهذه المضاحك . ولم أخلد لها ذكراً في كتاب بل أطويها كطي السجل للكتاب. ثم قطعنا برية المراحل الحمر وهي بيداء تغري بالرواحل الضمر. على أنها أقل البراري غرراً وأخفها مؤنة وضرراً ماؤها مورود قل ما يغب الورود. ولكن معالمها دوارس ومسالكها طوامس. للرمال المنهالة والرياح الروامس. ومنها إلى قريتي زواره وزواغة ذوي الأنفس الخبيثة والقلوب الزواغة معتقدات شنيعة وأعمال كسراب بقية ومذاهب سوء ردئة وضمائر شر عمر منهم كل طوية. إن استنام اليهم حلج لم يوقضه إلا برد ماء التقديس ودوي أصوات النواقيس. أو استأمن إليهم حاج لم يرعه إلا تلفيق المعاذير عن إساءة رعي الخنازير لأنهم يبيعونها من النصارى بأبخس الثمن. ويعتقدون كل ذلك حقاً تنتفي عنه الظنن. قطع الله دابرهم وخضد أصاغرهم وأكابرهم. ولا أخلاهم من قارعة تجتاحهم قرعاً وتسحتهم أصلاً وفرعاً. ثم خطرنا على قرية زنزور ولم أخبرها فلم

أحدث عنها بزور. إلا أن منظرها معجب مؤنق وشجرها مخصب مورق. ولا أدري هل مخبرها موافق أو هي ذات وجهين كالمنافق ثم وصلنا إلى مدينة طرابلس . للجهل مأتم وما للعلم بها غرس. أقفرت ظاهرا وباطنا وذمها الخبير بها سائرا وقاطنا تلمع لقصائدها لمعان البرق الخلب وتريه ظاهرا مشرقا. والباطن قد قطب. اكتنفها البحر والقفر. واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر. وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم النفر. لا ترى بها شجرا ولا ثمرا ولا تخوض في أرجائها حوضا ولا نهرا. ولا تجتلي روضا يحوي نورا ولا زهرا بل هي أقفر من جوف حمار وأهلها سواسية كأسنان الحمار. ليس على ناشيء منهم فضل لذي شيبة. ولا لذي الفضل بينهم هيبة. ترى أجساما حاضرة والعقول في عقل غيابات الغيبة. وملابس يلبسها ليلبس بها من ملأ من العيوب الغيبة. إلى بخل لو مازج ماء البحر جمد وخالط الهواء سكن في أذار وركد. وخلق يضيق به متسع الفضاء ونزق يحق له في ذمهم كشف الغطاء. وأذهان أربت في الضيق على الخاتم. سواء لديها من حارب ومن سالم. كأنهم من ضيق أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم. فسبحان من خلقهم.

وأهل تونس في طرفي نقيض. أولائك في الأوج وألاء في الحضيض. ولم أر بها ما يروق العيون. وسما عن أن يقوم بالدورن سوى جامعها ومدرستها فإن لهما من حسن الصورة نصيبا ومن اتقان الصنعة سهما مصيبا. وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة. فما يشب بها العلم طفل ولا يحج صرورة«طويل»:

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له   إذا لم يكن في فعله والخلائق

وقد حضرت بها تدريس الشيخ المسن القاضي الخطيب أبي محمد عبد الله بن عبد السيد. وهو بيت قصيدهم وكبش كتيبتهم وواسطة قلادهم وأنف سيادهم ذو سمت ووقار. وقد أثر الكبر في جسمه. كثير المواظبة للمسجد والذكر. خير في دينه وما كنت آتيه بعدما رأيته إلا بقصد الدعاء لأنه ضيق الخلق لين النظر وفي لسانه حبسة لا يكاد يفهم معها. وقد استفرغت جهدي وقت إقرائه في تفهم ما يقول فما فهمته إلا بعد مدة. وأظنه لا رواية له. فإني سألته عن ذلك فأبهم جوابه وتنمر وحاولت مداخلته. فصدني عن ذلك بشكاسته وجهامة لقائه. وما أبعد جميع أحواله من أحوال شيخنا الفقيه القاضي الأوحد الإمام قاضي الجماعة بحضرة مراكش كلأها

الله أبي عبد الله محمد بن علي بن يحيى الشريف قدس الله تربته وأنس في قبره غربته. فإنه كان والله، زين الدنيا والدين وهو كما قال القائل «طويل»:

أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

وتالله إن فقد مثله ليهون الرزايا. وإنه لحقيق بما قال أحمد بن المعدل في ابن الماجشون: ما ذكرت أن الأرض تأكل لسان عبد الملك إلا هانت الدنيا في عيني. وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد السيد عن أياء ماقام فيها ولا قعد. وما استفدت منه العلم فائدة سوى ما تقدم تسطيره في قوله صلى الله عليه وسلّم، إذا نودي الصلاة أدبر الشيطان. ولما حضرت تدريسه مر لهم في دولة التفسير قوله تعالى: ﴿**وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير**﴾ فسألته ما الكتاب المنير الذي أراد هنا. فأجاب بأنه جنس وهو بمعنى الزبر قبله باجماع من المفسرين. فقلت له لم كرر. فقال للتأكيد. وجمد على ذلك ولا يفهم هنا للتأكيد معنى. ولو قال كرر لما تضمنه من المدح كان كعطف النعوت بعضها على بعض لكان اشبه. ولكن تكرار الباء يشعر بالفصل لأن فائدة

تكرار العامل بعد حرف العطف إشعار بقوة الفصل بين الأول والثاني وعدم التجوز في عطف الشيء على نفسه والله أعلم. ثم مر لهم قوله تعالى:﴿ **وغرابيب سود** ﴾ وهي من الآيات التي صدئت فيها الأذهان الصقيلة وعادت بها أسنة الألسنة مقلولة الشبا كليلة. وذلك أن المنهج في كلامهم تقديم المتبوع على التابع فيقولون أبيض ناصع وأصفر فاقع واحمر قان وأسود حالك وغربيب. ولا يقولون ناصع أبيض ولا فاقع أصفر ولا قان أحمر لأن التابع فيه معنى زيادة الوصف فلو قدم لكان ذكر المتبوع بعده عيا إلا أن يكون لمعنى أوجب تقديمه. فلما قرعت أسماعهم بهذا سكتوا ولم يجد أحد منهم جوابا. وكان الشيخ قد ذكر ما قال بعضهم. وأضنه القاضي أبا محمد بن عطية. إنه من فصيح الكلام. فلم أقنع بذلك وقررته على ما تقدم. فسكت. ومن جملة العجائب أن شيخا ممن حضر إقراءه أراد أن يحتج عنه لما كلمته. فقال لي: إنما ذكر السود لأنه قد يكون في الغربان مافيه بياض وقد رأيته في بلاد المشرق. فلم يفهم من الآية وقد حضر تفسيرها شيئا إلا أن الغربيب هو الغراب. وقد ظهر لي في الآية الأولى وجهان أردت أن أثبتهما مستخيرا الله عز وجل. أحدهما أن قوله تعالى: ﴿ **جائتهم**﴾ يعود في الضمير على المكذبين للنبي صلى الله عليه

وسلّم، داخلا في الرسل المذكورين. والكتاب المنير القرآن. وقوله: ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ معطوف على قوله:﴿ **فقد كذب الذين من قبلهم**﴾ أي كذبوا ثم أخذهم لقيام الحجة عليهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير وجاء تقديم قيام الحجة عليهم قبل العطف اعتراضا للتهمم به. وهو من أرق وجوه البلاغة كما قال«وافر»:

فإنك إن أفتــك يفتــك مني فلا تسبق بــه علــى نفيــس

وكما قال حسان رضي الله عنه «بسيط»:

فإن في حربهم فاترك عداوتهم شرا يخاض عليه الصاب والسلع

وارى مثل هذا في آية آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿ **فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك** ﴾ الآية. وقوله جاؤوا انصراف من المخاطبة إلى الغيبة كأنه قال: جاء هؤلاء المذكورون. فيكون النبي صلى الله عليه وسلّم، داخلا في الضمير. وهو في موضع ﴿**جاءتهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير**﴾. فإقام الإخبار عن الغائب مقام المخاطب. كما قال:﴿ **حتى إذ كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة** ﴾وفيها وجه من التفخيم والتعجب كما أن المخاطب إذا

استعظم الأمر رجع إلى الغيبة ليعم الاخبار به جميع الناس. وهذا موجود في الآيتين. ومن ذلك قول النابغة الذبياني «بسيط»:

يادار مية بالعليـــاء فالسنـــد أقوت وطال عليها سالف الأبد

والوجه الآخر أن يكون المعنى على حذف مضاف كأنه قال: ويخبر الكتاب المنير يعني القرآن. فيكون مثل قوله: ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وهذا وجه حسن قريب. وكان شيخنا زين الدين أبو الحسن المالكي الأسكندري قد استحسنه حين عرضته عليه. والحمد لله. وأما الآية الأخرى وهو قوله تعالى: ﴿**وغرابيب سود**﴾ فحسبك به إشكالا أن فحول المفسرين أفحموا عن القول فيه وقصروا عما يتمم الغرض ويوفيه. والذي ظهر لي في ذلك بعد طول تأمل وفرط قلق فيه وتململ أن الموجب لتقديم الغرابيب هو تناسب الكلم وتماثل نسق الألفاظ وجريانها على نمط متساوي التراكيب. وهو معنى قل ما يوجد في غير الكتاب العزيز حسبما تقدم في قوله تعالى:﴿ **فتذكر إحداهما الأخرى**﴾. وذلك أنه لما تقدم ذكر البيض والحمر دون إتباع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أن يكون السود كذلك ولكنه لما كان في السود هنا زيادة الوصف كان الأليق

بالمعنى أن تتبع بما يقتضي ذلك وهو الغرابيب. فتقابل حظ اللفظ وحظ المعنى. فوفي لفظ الغرابيب حظ المعنى في زيادة الوصف ووفي ذكر السود مفردا من الإتباع حظ اللفظ إذ جاء مجردا على صورة البيض والحمر. فاتسقت الألفاظ كما ينبغي وتم المعنى كما يجب. و لم يخل بواحد من الوجهين. و لم يقتصر على الغرابيب. وإن كانت متضمنة لمعنى السود لئلا تتنافر الألفاظ. فإن ضم الغرابيب إلى البيض والحمر ولزها في قرن واحد كابن اللبون إذا ما لز في قرن . وذلك غير مناسب لتلازم الالفاظ وتشاكلها وجريها في سنن الاتفاق. وبذكر السود وقع الألتمام واتسع نسق النظام. وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام. وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول ويعي بها اللسن فلا يدري ما يقول. والحمد لله على حسن عونه. ومر لهم في دولة الموطأ حديث ابن عمر رضي الله عنه: فيمن نسي صلاة فلم يذكرها إلا وهو وراء الإمام. فقال: في الكلام عليه سمعت الإمام فخر الدين أبا علي بن رشيق بمصر يقول في تعليل قطع الصلاة: إذا ذكرت فيها صلاة أخرى إنما لقوله صلى الله عليه وسلّم، من نام عن صلاة أة نسيها فيصلها إذا ذكرها فإن ذلك في وقت لها. قال: فعين النبي صلى الله عليه وسلّم، وقت الذكر للفائتة. فوجب أن

يقطع التي هو فيها. فقلت هذا عام محتمل للتخصيص بمن ذكرها في غير صلاة. فاما منم ذكرها في الصلاة فخارج عن هذا العموم بدليل قوله تعالى:﴿ **ولا تبطلوا أعمالكم**﴾ كما خرج عنه من ذكرها في أوقات النهي عند من يرى ذلك من العلماء. ثم إن هذا التعليل لا يأتي على مذهب مالك رحمه الله لأنه لايرى القطع واجبا بدليل أن من صلى صلوات وهو ذاكر لصلاة فإنه لا يعيد منها إلا ما بقي وقته. وبدليل أن الإمام إذا ذكر صلاة ثم قطع فقد أبطل على من خلفه. ولو كان القطع واجبا لصحت صلاة من خلفه لأنه مغلوب على القطع. كما إذا ذكر أنه جنب. ولكن القطع في ذلك استحباب. فكأن الامام متعمد له. فلذلك أبطل على خلفه وكنت أذكر هذا المعنى من كلام الشيخ الإمام أبي الحسن اللخمي على المسألة. فلما فرغت من كلامي هذا سكتوا و لم يجدوا جوابا وهذا ما أشبهه إنما أثبته تنبيها على ضعف العلم في هذا الأوان وقلة الراغب فيه لا أني معجب فيه بنفسي. ويعلم الله أن معتقدي أن أدل دليل على فناء العلم وامحاء رسومه هو كلامي وكلام أمثالي فيه فإنه ما أوجبه إلا عدم علماء التحقيق. وحسبما الله وبه التوفيق. والذي أرى في الحديث الذي استدل به ابن رشيق أنه يقصر على مثل الصورة التي

ورد فيها وهي صلاة النبي صلى الله عليه وسلّم، الصبح يوم الوادي بعد طلوع الشمس لا من حيث أنه وارد في صورة فإن معتقدي أن اللفظ إذا كان مستقلا بنفسه اعتبر فيما يجب له ولم يقصر على الصورة التي ورد فيها. ولكن من حيث قام الدليل أن ذلك هو المراد. وذلك أن حمله على العموم يؤدي إلى باطل متفق على بطلانه وهو أن من ذكر صلاتين فأكثر لا يؤديها أبدا. لأنه كلما وقف في صلاة ذكر فيها أخرى فتبطل عليه. فلا لتخصيص في مثل هذا ضربة لازب. والله اعلم. ولم أر باطرابلس اثر عناية سوى ما تقدم ذكره إلا قبة باب البحر من بناء الأوائل في غاية الاتقان وهاية الإحكام مبنية من صخور منحوتة في هاية العظم منقوشة بأحسن النقش مرصوفة بأعجب الرصف. متماثلة المقدار علويها وسفليها ولا ملاط بين الصخور من طين ولاغيره. ومن العجيب ترتيب تلك الصخور ورصفها في الأساس فضلا عن رفعها إلى السقف ووصولها إلى هنالك مع إفراط عظمها. وفي مقعد القبة صخرة مستديرة منقوشة يحار الناظر في حسن وضعها وعلى القبة قبة أخرى عالية ومبان مرتفعة. ورأيت للقبة السفلى بابا مسدودا وعليه من خارجه صورة أسدين قد اكتنفاه مصورين من تلك الصخور بأبدع صنعة وأغربها. وهما

متقابلان على الباب وفي كل واحد منهما صورة لجام قد أمسك بعنانه شخص واقف وراءه. وقد منعه به أشد المنع. ولعل ذلك كان لمعنى تعطل وجهل سره والله أعلم. والذي في بلاد إفريقية من عجائب البناء وآثار الإعتناء أمر يضيق عنه الوصف. منها قصر لجم وسيأتي ذكره إن شاء الله. ومنها قصر يعرف بالمنارة غربي القيروان على مرحلة منه مبنى من صخور منحوتة موضوع على الأستدارة كأنه مخروط من عود. وهو من فرط إتقانه كأنه حجر واحد. وفي أعلاه طوق ناتىء من تلك الصخور على هيئة قنطف قد نحتت ورققت أطرافه حتى تجردت. وعرض من الأصل. فاتت لذلك جميلة المنظر وفي اعلى القصر من كل جهة صخور بارزة من البنيان عظيمة قد نحتت مستديرة وحفرت فيها مجار للماء من السطح فصارت ميازيب متسعة المجاري في غاية الإحكام وجمال المنظر. وقد دلت آثار تلك البلدان على ضخامة مملكتها في غابر الزمان على ضد ما هي عليه الآن. فإنها شديدة الإهمال غير سديدة الأحوال طامسة المسالك دامسة كالليل الحالك. عمرانها خراب وغدرانها سراب وعنوانها يباب يكل عن وصف بنائها لسان المنطيق ويضيق في ميدان تبيان خلائها عنان التلفيق. حلت بها الآفات والمحن. وشفا منها الدهر على عقد لها

من حقود وإحن. لا يسلكها إلا مخاطر ولا يعدم من عربانها إيلام
خاطر. وقد استولى لديهم الصالح والطالح واتفق في مذاقهم لكفرهم
ونفاقهم كل عذب ومالح. اتخذوا أخذ الحاج خلقا ودينا واعتقدوا
إهلاكه ملة ودينا. فماله عندهم طعمة أحلى من مال اليتيم في الولي
الفاجر اللئيم. ومن حديث إخوان الصفاء ومن الوعد على ثقة
الوفاء. لبسوا أسبال المعاوز وألفوا خلال المفاوز. فهم بها أغنى عن
الماء من ضب وأصب إلى صب الفواقر على فقر المسافر من صب.
على كل مرقب منهم عقاب يرقب الضيفان ليغزهم أمر عقاب. فما
يمر بتلك المسالك سالك. ولا يخطر على تلك المعابر عابر. ولا يرد في
تلك المناهل ناهل. إلا انقضوا عليه انقضاض الصقور على البغاث.
وانكدروا عليه بحيث لا يغات من استغاث فمزقوا أشلاءه تمزيق
الدهر للأحرار وعاثوا فيه عيث أويس في ثلة. وأسامة في صوار. لا
أمن لهم من عوادي الدهر ربرب. ولا عذب لهم من موارد الآمال
مشرب. ولا رحل عنهم يوم حتى يستخلف عليهم نكبة. ولا وردت
عليهم ساعة غلا بتحفة غظبة حتى يصيروا عبرة للبادي والحاضر.
وأحدوثة المقيم والمسافر. بحول الله الذي يسبح له الضب والنون
وأمره بين الكاف والنون فصل وقد رأيت أن أثبت في هذا الفصل ما

اعتقد أنه الفصل في حكم السفر بهذه البلاد لقضاء فريضة الله على عباده. فأقول إن المرء إن كان عري الفؤاد من أوار الهوى. خلي الأحشاء من نار الجوى. ساكن البال والبلبال. منفسح المجال على الأوجال صاحي اللب سليم الحشى. ثابت الذهن قعد أو مشى فمهما أجرى السؤال في هذا المجال وسأل عن حكم الارتحال مع هذه الأحوال أجيب بقوله: ألا صلوا في الرحال. وأما لقبه اشتغال وغرام باضطرام والتزام في احتدام وتطرق إلى تحرق. وتألق من تملق. واضطراب لاقتراب. وافتراق لاجتماع وإغراق في انخلاع. شرب من كأس الحب حتى ارتوى. وذوى بدنه من خوف النوى. وهام بذكر حاجر واللوى. نقل عن نسيم الصبا حديث نجد وروى. فحوى من علم الصبابة ما حوى. واشتمل على أسرار عليها انطوى وأخذها مشافهة عن معلم الطوى سرت في جسمه حميا راح الراح. وغنت على أفنان قلبه أطيار الارتياح. وهب له نسيم وصل اهتز له وارتاح. كما يهتز الغصن اللدن في كفاح الرياح. فهو مع الأوجال والجوى بمنزل. وعن حكم السؤال والجواب بمعزل. لا يصغي أذنا إلى نصيح. ولا يلقى أذنا إلى لاح يصيح يخاطب وغير المخاطب عنا. وينظر وإلى غير المنظور رنا. يشدو مترنما ويترنم مدندنا«بسيط»:

لم يحبب القلب حباً مثل حبكم ولم ترى العين شيئا دونكم حسناً

فهذه حكمة حكمه وأمره أمره وإلزامه التزامه لا يمتثل إلا ما به الحب أمر. ولا يسكن إلا ما سكن الهوى وعمر. فإن صحا مرة فخواطب قال: أنا ضيف عمر وإن حدد بأمر أو خوف بزيد وعمرو قال وهو مشتعل الأحشاء بالجمر: دعوني فلا خوف ولا حر بوادي عوف«كامل»:

دع من أحب لأعصينك في الهوى قسمـــا به وبحسنه وبهائـــه
القلب أعلم ياعـــذول بدائــــــه وأحـــق منك بجفنه وبمائـــه

ثم مررنا على بلاد مصراطة. وهو بلد لم يحو إلا جفاته. وشأنه أحقر من أن يعمل فيه الوصف مقوله أو أداته. على أنه ذو قرى ظاهره. ومناظر عند ظهورها باهرة. تخيل الحسن إذ نظرت وتحيله إذا اعتبرت

مساكن غصـــت بسكانهـــا ولكن تراهن كالغامــــــر
يظن بها الحســـن ذو غـــرة وما حسن دار بلا عامـــر

ثم جئنا البرية الردية. وذيك معدن كل أذية. سباخ تدهش النواظر. وتذهل بفرط ما تهول الخواطر. ومياه تحل قوى الأجسام.

وتثير كامن الأسقام. وتنفذ كما تنفذ السهام. مايعدوها من أفلتها إلا نضوا. لا يقل من شدة النحول عضوا. وبعد طول التعني بهذا المهمه المرت لاحت لنا في البيداء قصور سرت ولسان حالها يقول لنزيلها: أقويت وأقفرت. فإن عدلت عدلت وإن كنت ما جرت فقد جرت«طويل»:

لي اسم ولكـــن لا مسمى وراءه فلا تغترر إن كنت ذا فطنة باسم
فكم طار في الآفاق صيت مشهر لمن ماله في صالح الفصل من قسم

وهذا الاسم يطلق على عدة قصور بينها مسافة أولها يسمى الشبيكة وهي أعمرها في هذا الوقت. وآخرها يسمى المدية. وأكثر ما يطلق اسم سرت عليها. وحكمها كلها حكم القفار. قل ما يعمرها إلا الأعراب ومن ليس به عبره وقد ذكر البكري في مسالكه أن سرت مدينة كبيرة على ساحل البحر. لها نخل وبساتين. وذكر نحو ذلك في أجدابية. وبينهما نحو من عشرة مراحل ولا وجود لشيء مما ذكر إلا أن يكون مما غبر ودثر. وأظنه أنه سمع بوجود التمر بها فظن أن بها نخلا. والتمر إليها مجلوب من بلاد أو جلة وهو جل عيشهم بها ومما أنشده البكري في سرت«متقارب»:

يا سرت لا سرت بك الأنفس لسان مدحي فيكم أخـــرس

ألبستهم القبـــح فلا منظـــر يروق منكم لا ولا ملبـــس
بخستم فـــي كـــل أكرومـــة وفي فعال القبح لم تبخـــس

ثم سرنا من سرت سير من خاف يداً عادية أو أسداً ضارية أن تنوشه مقتحمين لقحم الخطر. ومرتكبين لمركب الفرر. في بريتي سنانة ومنهوشة وهما من القفار المعنية. وكل راحة فيها عن المسافر مولية. لا معهد بهما ولا أنيس. ولا محط للرحال عن ظهر العيس. بحر جيوش وغارات. ومقر نوائب وملمات. ماؤها وشل زعاق. ولصها بطل لايطاق. وبعد مكابدة الأين، ومعاينة الحين ومقاساة غصة وحرقة، والسلو عن ألم وذاع وفرقة، وصلنا إلى القفر القواء أرض برقة. فوجدنا برية هي أم البراري والقفار والمهامه التي يحار فيها أرباب الأسفار. يستعذب عذابها المنفض من الحجاج كما استعذب الظمآن المورد الأجاج. امتدت وطالت. واشتدت وهالت. وأربدت وحالت ولو أنشدت لقالت «طويل»:

أنا الغول غالت من يطور فناءها وتخدع بالألطـــاف طـــورا وبالبر
فإن أكلوا بري شربت نفوسهم وكم بين نفس المرء في الغدر والبر

سكنها من الأعراب كل فظ غليظ. يحرج بجفائه الأحنف ويغيظ حتى تكاد منه النفس تفيض. لا جرم أنهم يقرؤون التتريل

ويوالون المنفض بالجميل. ولا معترض للحاج عندهم وإن كان فهو قليل. والشأن عندهم في التبايع المعاوضة في المبيعات. والتبادل في المثمونات. لا يجري بينهم فيها دينار ولا درهم. وباب التعامل بهما عندهم مبهم. وقد ساوم أحد الحجاج بعضهم بجمل يعطيه به بكرا وزيادة دينارين. فقال له: لا أدخل خيمتي مالم يدخل قط خيمة أبي ولا جدي. وهذا حالهم في العينين يجهلون بهما أثمان الأشياء ويستعملون نساءهم في البيع والشراء. فلا يتوصل الحاج إلى شراء القوت إلا بعرض مبتذل وحال ممقوت ومن العجب عندهم أن كل امرأة لابد لها من خرقة تسد لها على وجهها ويسمونها البرقع. وهي تتخلل الناس مكشوفة الرأس والأطراف حافية القدمين لا تهتم بسر ما سوى وجهها كأن ليس لها عورة سواه فلا تزال تلك الخرقة عرضة للاتساخ ومرصدا لعارض الأوساخ. لاتصان فتماط عن ذقن ولا تترع فتماص من درن. حتى تصير أوسخ من عرض اللئيم وأقبح من وجه الشيطان الرجيم. فتفاجئ العيون من ذلك أشوه منظر يرى. وتسمع الأذان من وصفها أقبح حديث جرى. وما رأيت في أرض برقة مع اتساعها ما يحل بعين الرامق وتعلق به مقة الوامق سوى مسكين رأيته في خلاء من الأرض بين الرجل المشقوف وقصر

الصعافنة منقور في حجر صلد بأصل جبل على صورة دار رائعة وعلى بابها صفة. ولها بناء مليح نقر فيه عن يمين وشمال صور بيوت لم يتم عملها. وإذا دخلت من باب الدار ألفت قبة مليحة متسعة مرتفعة السمك مربعة منقوشة بأبدع النقش. وفيها مصاطب قد دارت بها حتى اتصلت بالباب. وقبالة الباب باب آخر يطلع منه على درج إلى بيت آخر كبير وجميع ذلك منحوت في حجر صلد يفوت الوصف اتقانه. فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وإليه المرجع والمصير. وقد رأيت نحو هذا في موضع آخر من أرض برقة حال الرجوع. وسيأتي ذكره إن شاء الله. **فصل** : وبرقة مدينة قديمة من بناء الروم، وكان اسمها عند انطابلس. قال البكري ومعناها بلغة الروم الأغريقية خمس مدن. ومعنى أطرابلس ثلاث مدن. وليس الآن هناك مدينة تسمى برقة ولا مدينة مذكورة إلا طلميثة. وهي قديمة ولست أدري أهي برقة فغير اسمها ثانيا إلى طلميثة كما غير أولا إلى برقة أم هي غيرها. وبرقة الآن عند الناس اسم أرض لا اسم مدينة. والمغاربة يسمون بها ما ردت عين أقيان من غربي اجدابية إلى الإسكندرية. وذاك نحو من أربعين مرحلة. وأما عرب تلك الأرض فإني رأيتهم لا يسمون بها إلا مارد الحصبي يذكرون إلا العقبتين.

شرقا الى أرض برنيق غربا. وهو حد الغبة وما حاذاها من الساحل .
ومن القبلة. ويسمون مارد الحصري إلى العقبة الكبيرة البطان. ومنها
إلى الاسكندرية لا يذكرون إلا العقبتين. وذلك مسيرة عشرة أيام
فصل : وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم وعرب الحجاز
أيضا فصحاء. ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم فلم
يختلط كلامهم بغيره. وهم إلى الان على عربيتهم. ولم يفسد من
كلامهم إلا القليل. ولا يخلون من الأعراب إلا مالا قدر له بالإضافة
إلى ما يعربون. وقد سألت بدويا لقيته يسقي إبله في الحصوى عن
ماء يقال له أبو شمال هل نمر عليه وذكرته بالواو في موضع الخفض
على عادة أهل الغرب. فقال لي نعم تطئون أبا شمال. وأثبت النون في
الفعل ونصب المفعول وليس في الغرب عربي ولا حضري يفعل ذلك.
ومررنا بأطفال منهم يلعبون فقال لنا واحد منهم يا حجاج معكم
شيء تبيعونه وأثبت النون وسكن الهاء للوقف. ورأيت أعرابيا منهم
قد ألحت عليه امرأة تسأله من طعام معه. فقال لها والله ما تذوقينه
فأتى بضمير المخاطبة على وجهه. وأثبت النون وسكن الهاء. وسمعت
شخصا ينشد في الركب مكتري راحالة ويقول من يكري زاملة
فسمعه بدوي فقال له أعندك الزاملة ؟ فقال نعم. قال فلا تقل من

يكري وقل من يستكري. وذكر لي بعض أصحابنا ممن حج معنا أن شخصا شرب من زمزم. فقال في هذا الماء رائحة الحبل وحرك الباء على لغة أهل الغرب يعي الرشا المستسقي به. فسمعه أعرابي فقال له ومن أين جاءت رائحة الحبل الى الماء ؟ فأشار له الى الرشا. فقال له قل الحبل ولا تقل الحبل. وأما ناذر ألفاظ اللغة وما جرت عادة أهل الغرب بتفسيره. فهم حتى الان يتحاورون به على سجيتهم. فمن ذلك أن شخصا منهم وقف علي بموضع نزولي من محلة الركب . وكانت الترعة منه بعيدة .فقال لي ياسيدي تدعني أظهر يعني أخرج . وسألت شخصا منهم عن الطريق. فقال لي إذا ظهرتم من الغابة فخذوا صوب كذا . يعني إذا خرجتم منها. وهذا اللفظ قد أكثر فيه أهل الغريب في تفسير قول عروة بن الزبير رضي الله عنه. ولقد حدثتني عائشة رضي الله عنا زوج النبي صلى الله عليه وسلّم ولم أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل ان تظهر. وأتوا عليه بشواهد وأمثال. ومعت صبيا منهم ينادي في الركب يا حجاج من يشتري الصفيف. فلم يفهم عنه أكثر الناس فقلت اللحم معك ؟ فقال نعم . وأبرز لحم ظبي مقدد . وهذا اللفظ قد ذكره مالك رضي الله عنه في الموطأ وهمم في تفسيره .

فقال بإثر الحديث، قال مالك رضي الله عنه وصفيف القديد. وسألت شخصا عن ماء هل هو معين ؟ فقال لي هو ماء غدق. وهذا اللفظ فسره ابو عبيد في غريبه . وسمعت آخر وقد إزدحم الناس في مضيق . وهو يقول تنحو عن الدرب. وما يتكلمو به من الغريب أكثر من أن يحصى . وبالله تعالى التوفيق . **فصل** : ومما يلي الإسكندرية من هذه الأرض العقبة الكبيرة. وبينها وبين الإسكندرية عشرة أيام . ثم العقبة الصغيرة . وبينها وبين الكبيرة ستة أيام . ومنها الى الإسكندرية أربعة أيام . وكلتاهما خلاء . لا ساكن بها ولا مسكن. وأكثر مواضع هذه الأرض هكذا آسام بلا مسميات وهي برية واحدة ممتدة إلى الإسكندرية وفي آخرها الموماة المضنية الموذية أوحش المراح على الراحل قفر لوبية . أرض تستوحش منها لنكارتها القلوب وينسى مع رؤيتها كل خطب ينوب فقرها كرب من أعظم الكروب . ونوبتها على المسافر من نوائب الدهر وهي ضروب« طويل» :

ولولا حبيب حبه أضرم الحشا يصرفني شوقي إليه كما يشـــاء
أهيم به حيا وميتا وإنـــــــي لأضمر من حبيه أضعاف ما فشا

ترنحني من ذكره أريحية كما اهتز غصن للنسيم إذا نشا
تركت إليه دون من أحبـــة تصدع إذ فارقتهم مني الحشــا
لما بت في أكنافها ليلـــة ولا خشيت هجيرا لا فحا أن يعطشا

وبعد حفظ ما دل عليه هذا العنوان. واتصال التخمة بتلك الألوان من الله سبحانه بمفارقة تلك البرية. والوصول إلى مواصلة ثغر الإسكندرية مدينة الحصانة والوثاقة. وبلد الإشراف اللامع والطلاقة وطلاوة المنظر وحلاوة المذاقة. كل عنها ظفر الزمان ونابه . ومل منها جيش الحدثان وأحزابه. فلم تبد عليها للزمان ضراعه ولا وكست لها في معاملاته سلع ولا بضاعة .ولا وقفت له موقف ذل يوما ولا ساعة. بل ثبت لحربه ثبوت البطل. وصابرت كيده حتى اضمحل سحره وبطل. ولم تصغ أذنا إلى ما يوعد به من الخنا والخطل فهي واقفت وقوف الأطواد سامية بطرف غير كليل وجيد غير مناد . آخذة من الكفر وأهله بالخنق أبدلتهم من الصافي المروق الكدر المرنق . فسامروا الأسف مسامرة الندي للمحلق . ودجا عليهم ليل هم ادلهم بعد نهار سرور تألق . واضطرم عليهم الأسا واحتدم فحالفوا الندم . وقالوا عضولا يتفرق. مدينة فسيحة الميدان صحيحة الاركان مليحة البنيان تسفر عن محيا جميل المنظر وترونو

بطرف ساج أحور . وتتسم عن ثغر كالأقحوان إذا نور . كأنه لم يغب عنها شخص الإسكندرية . بما ساسا فيها من عجائب مبانيها ودبر ناهيك بمدينة كلها عجب. قد ستر حسنها حسن غيرها وحجب. ووفي فيها الإتقان حقه كما وجب . وقد أغني عن تسطير وصفها ما سطره الأعلام وضربت به الأمثال على المهارق بالأقلام ومن من جملة إبداعها و أغرابها ما رأيت من إتقان أبوابها وذلك أن عضائدها وعتبها مع إفراط طول الأبواب كلها من حجارة منحوتة يتعجب من حسنها وإتقانها وكل عضادة منها حجر واحد . وكذلك كل عتبة وإسكفة . ولا أعجب من وضعها هنالك مع إفراط عظمها. ولم يغير طول الزمان شيئا من ذلك . ولا أثر فيه بل بقي بجدته ورونقه . وأما مصاريعها فهي في غاية الإحكام . ملبسة بالحديد ظهرا وباطنا بأدق ما يكون من الصنعة وأحسنه وأتقنه . ومن أغرب ما رأيت بها عمود من رخام بظاهرها يعرف بعمود السواري. وهو حجر واحد مستدير عال جدا على قدر الصومعة المرتفعة. وهو يبدو من بعيد بارزا في غابة من نخيل مرتفعا عنها. وقد أقيم على حجارة منحوتة مربعة على قدر الدكاكين العظام. علوها أزيد من قامتين ولا يعلم كيف أقيم عليها ولا كيف ثبت هنالك مع

رياح العواصف وهو مما لا يمكن تحريكه البتة فضلا عن إقامته هنالك وأما المنار فقد كتب الناس فيه وسطروا ما فيه الكفاية. وقد دخلته وتأملته وما وصلت إلى أعلاه إلا بعد جهد. ولا يظهر له من خارج فرط علو. وهو خارج المدينة على أزيد من ثلاثة أميال وعلى تل مرتفع بشمال البلد. وقد أحاط به البحر شرقا وغربا حتى تأكل حجره من الناحيتين فدعم منها ببناء وثيق اتصل إلى أعلاه . وزيد دعما بدكاكين متسعة وثيقة وضع أساسها في البحر ورفعت عنه نحو ثلاثة قامات. وباب المنار مرتفع عن الأرض نحو أربع قامات. وبني إليه بنيان حتى حاذاه و لم يتصل به . ووضعت عليه ألواح يمشي عليها إلى الباب. فإن أزيلت لم يوصل إليه وفوق الباب من داخل موضع متسع لحراسة الباب. يقعد فيه حارس وينام فيه وفي داخل المنار عدة بيوت رأيتها مغلقة. وسعة الممر فيه ستة أشبار. وفي غلظ الحائط عشرة أشبار. ذرعته من أعلاه. وسعة المنار من ركن إلى ركن مائة وأربعون شبرا. وفي أعلاه جامور كبير عليه آخر دونه. وفوق الأعلى قبة مليحة يطلع إليها في درج مشرعة النواحي. ولها محراب للصلاة . ومن الإسكندرية إلى المنار بر متصل أحاط به البحر حتى اتصل بسور البلد. فلا يمكن الوصول إلى المنار في البر إلا من البلد وفي هذا البر

مقابر الإسكندرية وفيها من المزارات وقبور العلماء والصالحين ما لا يعد كثرة. وفي ما سطر الناس من وصف الإسكندرية ومنارها وما ذكروا من عجائب آثارها ما هو الغاية في إتقان الوصف وإجادته . وما يغني عن تكلف إعادته. بيد أنها الآن بلد زادت صورته على معناه. واستأثر بالفضائل مغناه. فهو كجسم حسن لا روح فيه أو برد مفوف خلا من ملتحفيه. آو غمد مرقش اندق الصارم الذي كان يخفيه. أكثر أهلها رعاع ضرر بلا انتفاع مع سوء أخلاق ومرارة مذاق وقلوب رباها الضغن تربية الأولاد. وجفلها الخير والصلاح لما عمرها من الشر والفساد. الخير فيهم فعل لا يتصرف والغريب بينهم نكرة لا تتعرف. إن رأوه زادوا الوجوه جهامة. ونكروا منها ما قد نكرته الدمامة والذمامة وجمجموا قولا رماه اللكن عن قوس العجمة سهامه الحسد فيهم مضطرم النيران وقد افسد أمزجتهم فحالت الالوان. فإن سمعوا بفاضل فهو يوم بحران. أخرسهم العي فعادوا بالصمات. فإن سبوا سكتوا. لا عن كبر ولا عن إخبات ومنهم من إضناه الحسد فالسكوت منه سبات. تمالئوا عن كل وصف شان وما زان. وتوطئوا على تطفيف المكيال والميزان. فإن عاملهم غريب لم يلق منهم إلا ما يريب يتخذونه هدفا ولكل منهم فيه سهم

مصيب. حتى يخرج من ماله بغير نصيب. لا ترجى منهم فيئة إنابة ولا تلفى منهم فئة رأفة ولا عصابة. ولا ينفع الغريب في معاملتهم أن يقول لا خلابة . حسبك ببلد أربى في الحسن على البلاد. وله من الرذيلة كل طارف وتلاد. وليس به من أهل الفضل إلا آحاد. قلوا عددا واتحدوا كل الاتحاد. فهم فيه أقل من التوفيق غرباء بينهم في كل معني وطريق. ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينه وأعرب أنهم يعترضون الحجاج ويجرعوهم من بحر الإهانة الملح الأجاج ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج يبحثون عما بأيديهم من مال. ويأمرون بتفتيش النساء والرجال. وقد رأيت من ذلك يوم وردنا عليهم ما اشتد له عجبي وجعل الانفصال عنهم غاية أربي وذلك انه لما وصل إليهم الركب جاءت شرذمة من الجرس لا حرس الله مهجتهم الخسيسة. ولا أعدم منهم لأسد الآفات فريسة. فمدوا في الحجاج أيديهم . وفتشوا الرجال والنساء. وألزموا أنواعا من المظالم. وأذاقوهم ألوانا من الهوان . ثم استحلفوهم وراء ذلك كله . وما رأيت هذه العادة الذميمة والشيمة اللئيمة في بلد من البلاد ولا رأتيت في الناس أقسى قلوبا ولا أقل مروءة وحياء . ولا أكثر إعراضا عن الله سبحانه وجفاء لأهل دينه من أهل هذه البلد. نعوذ بالله من

خذلان فلو شاء لأعتدل المائل وانتبه الوسنان. وكنت إذا رأيت فعل المذكورين ضننت أن ذلك أمر أحدثوه حتى حدثني نور الدين أبو عبد الله بن زين الدين الحسن يحيى بن الشيخ الوجيه الدين أبي على المنصور بن عبد العزيز ابن حباسة الإسكندري بمدرسة جده المذكور حكاية اقتضت أن لهم في هذه الفضائح سلفا غير صالح وذلك انه حدثني إملاء من كتابه قال حدثني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن السبتي الحمير بثغر الإسكندرية سنة اثنتين وستين وستمائة قال: حدثني الشيخ الإمام المحدث أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني بثغر الاسكندرية سنة إحدى عشرة وستمائة أنه ورد الإسكندرية في ركب عظيم من المغاربة برسم الحج. فأمر الناظر على البلد بمد اليد فيهم للتفتيش والبحث عما بأيديهم. ففتش الرجال والنساء. وهتكت حرمة الحرم. ولم يكن فيهم إبقاء على أحد قال فلما جاءتني النوبة وكانت مع حرم ذكرتهم بالله ووعظتهم فلم يعرجوا على قولي. ولا التفتوا الى كلامي وفتشوني كما فتشوا غيري . فاستخرت الله تعالى. ونظمت هذه القصيدة ناصحا لأمير المسلمين صلاح الدين يوسف بن أيوب ومذكرا له بالله في حقوق المسلمين ومادحا له فقلت (متقارب):

أطللت على أفقـــك الزاهر سعود من الفلك الـــدائر

فأبشر فإن رقاب الـــعدا تـــمد إلـى سيفك الباتر

وعما قليل يحـــل الردى بكيدهم الناكـــث الغادر

وخصب الورى يوم يسقي الثرى سحـــائب من دمها الهامر

فكم لك من فتكة فيـــهم حكت فتكة الاسد الخـــادر

كسرت صليبهم عنـــوة فلله درك من كاســـر

وغيرت آثارهم كلـــها فليس لها الدهر من جابـــر

وأمضيت جدك في غزوهـم فتعسًا لجدهم العاثـــر

فأدبر ملكهم بالشـــائم وولى كأمسهم الذابـــر

جنودك بالرعب منصـــورة فناجز متى شئت او صابـــر

فكلهم غارق هالـــك بتيار عسكرك الزاخـــر

ثأرت لدين الهدى في العـــدى فآثرك الله من ثائـــر

وقمت بنصر إلاه الـــورى فسماك بالملك الناصـــر

وجاهدت مجتهدا صابـــرا فلله درك من صابـــر

تبيت الملوك على فرشهـــــا وترفل في الزرد السابـــــــر

وتؤثر جاهد عيش الجهـــــاد على طيب عيشهم الناضـــــر

وتسهر جفنك في حق مـــــن سيرضيك في جفنك الساهـــــر

فتحت المقدس من أرضــــــه فعادت الى وصفها الطـــــاهر

وجئت الى قدسه المرتضــــى فخلصته من يد الكافــــــر

وأعليت فيه منار الهـــــدى وأحييت من رسمه الداثـــــر

لكم ذخرالله هذا الـــــفتوح من الزمن الاول الغابـــــــر

وخصك من بعد ما زرتـــــه بها لا صطناعك في الآخـــــر

محبتك ألقيت في النفـــــوس بذكر لكم في الورى طائـــــر

فكم لهم عند ذكر الملـــــوك بمثلك من مثل سائـــــــــر

رفعت مغارم أرض الحـــــجاز بإنعامك الشامل الهامــــــر

وأمنت أكناف تلك البـــــلاد فهان السبيل على العابـــــر

وسحب أيادك فياضـــــــة على وارد وعلى صـــــــادر

فكم لك بالشرق من حامــــد وكم لك بالغرب من شاكـــــر

وكم بالدعاء لكم كل عـــــام بمكة من معلن جاهـــــــــر

وقد بقيت حسبة في الظلـــــوم وتلك الذخيرة للذاخـــــــر

يعنت حجاج بيت الإلــــــه ويسطو بهم سطوة الجائـــــر

ويكشف عما بأيدهــــــــم وناهيك من موقف صاغـــــــر

وقد أوقفوا بعد ما كشفـــــــوا كأنهم في يد الآســـــــــــــر
ويلزمهم حلفا باطـــــــــــلا وعقبى اليمين على الفاجــــــر

وان عرضت بينهم حرمـــــــة فليس لها عنه من ساتــــــــر
اليس يخاف غدًا عرضـــــــــه على الملك القادر القاهـــــــر
وليس على حرم المسلمــــــين بتلك المشاهد من غائـــــــــر
ولا حاضر نافع زجـــــــــره فيا ذلة الحاضر الزاجــــــــر
الا ناصح مبلغ نصحـــــــــه الى الملك الناصر الضافـــــــر
ظلوم تضمن مال الزكـــــــاة لقد تعست صفقة الخاســــــــر
يسر الخيانة في باطـــــــــن ويبدي النصيحة في الظاهـــــــر
فأوقع به حادثا إنـــــــــه يقبح أحدوثة الذاكــــــــــر
فما للمناكر من زاجـــــــر سواك وبالعرف من آمـــــــر
وحاشاك إن لم تزل رسمهـــا فمالك في الناس من غـــــادر
ورفعك أمثالها موســــــع رداء فخارك للناشــــــــر
وآثارك الغر تبقى بهـــــا وتلك المآثر للآثــــــــــر
نذرت النصيحة في حقكــم وحق الوفاء على النـــــاذر
وحبك أنطقني بالقـــــريض وما أبتغي صلة الشاعــــــر
ولا كان فيما مضــــــى مكسبي وبئس البضاعة للتاجـــر
إذا الشعر صار شاعر الفـــتى فناهيك من لقب شاهـــــر
وإن كان نظمي له نــــادرا فقد قيل لا حكم للنــــادر
ولكنها خطرات الـــــهوى تعن فتلعب بالخاطـــــــر

وإما وقد زار تلك العـــــلا فقد فاز بالشرف الباهـــــــر
وإن كان منك قبول له فتـــلك الكرامة للزائــــــــــــــر
ويكفيه سمعك من سامــــــع ويكفيه لحظك من ناظـــــــر
ويزهى على الروض غب الحيـــا بما حاز من ذكرى العاطــــــر

قلت هكذا حدثني أبو عبد الله بهذه الحكاية وكذا وقعت في كتابه منشورة لم يذكر فيه الا ما أثبته وبالله التوفيق . وأنشدني أبو عبد الله أيضا عن أبي العباس المذكور عن ابن جبير قصيدة نظمها ارتجالا حين تراءت له مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فسافرت وما وصلت إلى الإسكندرية حتى ثابت إلي قوتي وعادت إلي صحتي. وكان سفرنا منها على غير الطريق الأول إذ كان الماء قد نضب على الريف فسافرنا على طريقه. والعمارة عليه متصلة مدنا وقرى إلى الإسكندرية. ومن اعظم بلادها واشهر مدينة قليوب ومدينة مليح ومدينة فرما ومدينة بيار ومدينة المغانة ومدينة دمنهور. ومدنها وقراها أكثر من أن تعد. وهي ذات بساتين ونخل. وشجر يفتن حسنها الناظر. ومن اعظم مدنها وقواعدها المشهورة الموصوفة بالحسن والجمال مدينة دمياط. وهي على البحر الرومي. ولم ادخلها لأنها رائغة إلى اليمن كثيرا عن طريق مصر إلى

الإسكندرية. وكنت متحفزا للسفر فلم يتأت لي دخولها. ومررنا على قرية سنديس وزرنا بها قبر عيسى بن الوليد أخي خالد بن الوليد رضي الله عنهما. وهو في بيت مغلق على يسار المحراب. ومن مصر إلى هذه القرية مرحلة. ثم وصلنا إلي مدينة الإسكندرية فأنزلنا شيخنا الفقيه زين الدين بمدرسة إقرائه. وأولانا من بره وتأنيسه ما يكافيه الله به. وأقمنا بها سبعة أيام. ثم سافرنا على طريقنا الأول إلى العقبة الصغيرة. ثم تياسرنا منها إلى العقبة الكبيرة. وهذه الطريق معطشة. وماؤها في آبار عميقة ما رأيت أبعد منها. وقل ما يأتي الاستقاء منها الا بحبال موصولة. والغالب في ورودها الغب. فشق سلوكها لذلك. ثم منها على طريقنا الأول إلى البطنان. ثم إلى قصر الصعافنة. ثم إلى الرجل المشقوق. ثم إلى الحصوي وهذه كلها أسماء مواضع تنزلها العربان. ما بها مستعتب سوى قصر الصعافنة. ومن الحصوي على طريق الوسطى بين طريق الغابة وطريق القبلة الى ابي شمال وهي عين غزيرة بيضاء عذبة. ثم الى جرسون. ثم إلى مراوة. وتركنا على اليمين طريق المرج وقبة هيب وطلميثة وهي مدينة أرض برقة ومرسى سفنها. ورأيت ما بين جرسون ومراوة آكاما غليظة دائرة بديار منحوتة منها في حجر صلد من أبدع العمل وأغرب

الإتقان عجيبة محكمة جدا. ودخلت واحدة منها بإزاء الطريق. فوجدتها على نعت دار متقنة. وعن يمين مدخلها حجرة عظيمة للطبخ. وعن يساره حجرة أخرى للرحض وتطهير. وفي مقابلة الداخل بيت كبير مليح جدا منقوش على أحسن صفة تكون عليها البيوت المبنية وتلك الآكام كلها منحوتة ديارا على تلك الصفة. ومن مراوة الى سوسة وهي حصن خرب على شرف مرتفع ينظر على فحص متسع فيه مواجل كثيرة لماء المطر قل ما تنضب لكثرتها وعضمها وفي سمتها آبار المياس ولم أمر راجعا عليها لسبب أوجب ذلك. فتيامنا عنها. ثم وصلنا الى أرض برنيق. وهي ارض طيبة للزراعة كثيرا. وبها قصور عدة يخزن فيها. وأولها القماناس. وهي ثلاثة قصور متقاربة وإحداها قمينس هكذا ينطقون به على لغتهم المعروفة بالقاف وهي اسماء عجمية. ومررنا على قصر جليط. وهو في آخر ارض برنيق من جهة الغرب. ثم على أجدابية وهي حصين قديم على قدر دار كبيرة عالية. وذكر بعض المؤرخين انه كان بها ماء جار ونخل. وليس الآن هنالك الا قصر ماثل في خلاء من الأرض لا ماء جاري ولا شجرة واحدة. ومنها إلى عين أقيان وهو ماء شريب في رملة بيضاء. وهو حد برقة عند المغارب لان برقة عندهم اسم

الأرض يطلقونها على ما ردت الإسكندرية إلى هذا الموضع. وقد تقدم ان برقة اسم مدينة وقد رايت عرب تلك الأرض لا يطلقون اسم برقة إلا على الغابة وما حاذاها. وذلك من القمانس إلى الحصوي. ومنه الى العقبة الكبيرة ثم الى البطنان. ومنها الى الاسكندرية لا يذكرون الا العقبتين. ثم وصلنا الى برية سنانة ومنهوشة. ثم الى المدينة سرت ثم الى الشبيكة آخر قصورها وأعمرها. مارين على الطريق الأولى إلى مصراتة. وهي مواضع وقرى عامرة. وآخرها من جهة الغرب سويقة ابن مطكوك. ومنها إلى بني حسن. وهي قرية مجموعة عامرة. وبينها وبين مصراته مواضع على الساحل عامرة وقصور قديمة. وهنالك مدينة لبدة فيها آثار قديمة وبنيان عجيب. وفيها من أساطين الرخام وألواحه ما يقصر عنه الوصف. وفيها صورة امرأة من رخام بإزاء الطريق ولا شك ان البلد كانت دار مملكة. وهي الآن متهدمة دارسة ليس بها الا عمارة قليلة. وفي جنوب بني حسن مسلاته. وهم قوم يبرون أهل الدين. ويكرمون الحجاج. وهم على خير وصلاح. ثم وصلنا إلى مدينة أطرابلس. وكان ذكر لي بها شيخ يدرس الفقه يعرف بن عبيد فحضرت مجلسه. فرأيته قليل التوقير لمجلس العلم. فخرجت ولم أكلمه. ثم

وصلنا إلى قابس. وأقمنا بها أياما وأولانا خطيبها الصالح الفاضل أبو موسى الشكري حفظه الله برا وإكراما. وزرنا بها قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعليه مسجد وهو منه في بيب مغلق. ثم سافرنا منها على طريق نفطة وهي موضع على البحر فيه ناس صالحون يعرفون بأولاد الرقيق. ثم منها على الطريق الوسطى بين طريق القيروان وطريق الساحل على غابة إفريقية. وهي غابة عظيمة من زيتون بعل يحمل كثيرا ويعتصر زيتا طيبا كالحل في زيتون الشام سواء. ولكنه ليس في الشام منه غابة متصلة كاتصال هذه مع عظمها. وقد قطعناها في ثلاثة أيام. ولكنها الآن معطلة لفساد البلاد واستيلاء العربان عليها. فانقطعت منفعتها رأسا حتى صار الزيت بإفريقية مجلوبا من جزيرة جربة. وهي جزيرة صغيرة منقطعة في البحر فيها زيتون ورمان. وتفاحها مشهور يجلب منها الى البلاد وأهلها اصحاب مذاهب رديئة وأهواء مضلة مثل رواره وزواغة دمرهم الله جميعا. وقد صارت جربة اليوم في حكم النصارى. أعطاهم إياها أهلها لشنئان وقع بينهم. والعصمة بالله ولا حول ولا قوة الا بالله . هذه الطريق المذكورة ليست بعيدة من طريق الساحل. وإنما تجنبناها لآفات تتقى بها. فخطرنا على مدينة سفاقس ونحن ننظر إليها. ثم على

المهدية. ثم على المنستير. و لم ندخل بلدا منها. وفي سفاقس دفن أبو الحسن اللخمي وقبره بها مشهور يتبرك به. وقد مضى ذكر تاريخ وفاته وفي المنستير دفن الإمام أبو عبد الله المازري. وقبره بها مشهور. والمنستير من الرباطات المشهورة المذكورة وتحكى لها مآثر وفضائل كثيرة. وبها من قبور الصالحين ما لا يعد كثرة. والمنستير بضم الميم. هكذا سمعت أهل أفريقية يتلفظون به. وعلى الطريق الذي سلكناها قصر لجم. وهو قصر الكاهنة. وما وقع بصري من كل ما رأيت على بنيت اعجب ولا أغرب منه. وهو مما لا يمكن تصوره بالوصف. ولا غنى في تصوره عن المشاهدة لغرابته. ومختصر وصفه انه قصر مستدير متسع عال جدا من صخور منحوتة كبار محكمة الوضع والوصف حتى كأنه حجر واحدة وقد فتحت في أعلاه أبواب مرصوفة محيطة به. وعلى تلك الأبواب أبواب آخر مثلها دائرة بالقصر أيضا. ويظهر مافوق الابواب من بعد كأنه قصر واقف في الهوى. وأظن ان تلك الأبواب لمكان اختراق الريح احتياطا على القصر من عاديتها لافراط علوه. ويمكن ان تكون لغير ذلك. وبناء داخل القصر أعجب. فإنه لو جعل دورا واحدا لم يكن فيه كبير منتفع. وان اتسع في الساحة على وضع واحد ضاقت وحجبت عنها الشمس. فجعل البناء فيه

مدرجا كلما طلع نقص منه دور حتى ارتفع البناء إلى حد لا يحجب فيه بعضه الشمس عن البعض حتى يضر بها دوام الظل عليها وصارت السقوف المدرجة من جملة الساحة يرتفق بها اذ لم يبقى من الساحة غير مبنى إلا دائرة ضيقة. وهذا القدر هو الذي يمكن إثباته في صفة هذا القصر. وهو من جملة المباني الغربية التي لا تتصور تصورا تاما إلا بالمشاهدة. وليس في داخله عمارة معتبرة. ولكن العمارة خارجا عنه. هنالك ديار وبساتين وجامع مليح أهلها أناس صالحون شملتهم بركة الشيخ الصالح أبي زيد اللخمي رحمه الله تعالى. وأولاده الآن على طريقته في الدين والصلاح وإطعام الطعام نفعهم الله ونفع بهم. ثم وصلنا إلى مدينة سوسة. وهي مدينة مليحة برية وبحرية. حولها بساتين وثمار. وهي في نفسها متقنة محكمة العمل مؤسسة بقوة وكلها صخر منحوت. وفيها رباط متسع عجيب مليح جدا يترله الحجاج والمسافرون ولكنه قد سحب الزمان على الكل ذيل البلى. ورمى الداخل والخارج بسهم التوى. فعادت بعد الصون بزرة مكشوفة وصارت محاسنها ممحوة مكسوفة فخضعت خضوع العزيز إن ذل وخشعت خشوع الكثير إذا قل. ترنو إلى البر والبحر بمقلة خائف وتحاذر منها أنواع المتالف لا ترى بها زعيم يحبر ولا فارس

دفتر. قد خرس بها لسان الطلب. وعاد لفريق الجهل على فئة العلم الغلب. فأمحقت بها آثار كل فضيلة. وصيرها الجهل معرسه ومقيله. تلاشت قواها فلم يبقى بها إلا رمق. وكساها الزما ثوب الهوان ما محى رونقها وأمحق. لا تمد في الأمن ساعة من الدهر باعاً. ولا تمير فتشبع أهلا جياعًا. وجامعها المليح قد علا عليه الشحوب. وأبلى حسنه وقائع الخطوب نازلته وليس له يدان بالدفاع. فاستكان وأطرق إطراق الشجعان. وما عصم من ريب الزمان فريق ولا اعتصم معتصم بدورة نيق.وبالله الاستعانة والتوفيق. ثم وصلنا إلى مترل أبى نصر. وهي بليدة مسورة عامرة غاصة بالخلق. ولكنها في حكم البادية إذ ليس بها من معاني الحضارة شيء. وبها سوق كبيرة يكثر إليها الجلب لكثرة العربان هنالك. ثم خطرنا على مدينة الحمامات وهي مدينة صغيرة مبيضة السور. وليس بها ما يذكر لفنائها وقلة عمارها. وهي على البحر. ولم ادخلها لقلة تشوقي إليها وما ذكر لي من الضعف عنها. ثم وصلنا إلى مدينة تونس حرسها الله تعالى. وهي كما مر ذكرها. واستقر عند المؤالف والمخالف شكرها. وهي مؤنسة عند اسمها ومسعفة على مقتضى رسمها. وما انصف من ذمها بالمحال وتعسف عليها فقال ((طويل)):

لعمرك ما ألفيت تونس كاسمها ولكنني ألفيتها وهـــــي توحش

وقد أقمت بها مدة حتى شفيت الحشا العليل. ونقعت بوردها الغليل. وقطعت فيها الغدو الاصيل. بمجالسة كل فاضل جليل. فيما انفصل عن العالم يوضح الحلك مهما أجاب ألا إلى صالح يحتلب به در الحساب. ولا أغدو عن مجل أديب كقطع الرياض إلا محفل وعظ يقي الخدود بالدمع الفياض. فقطعتها أياما من غفلات الدهر مختلسات وانتظم لي بها شمل انس طالما مني بالشتات. فلم يبقى بها شيخ مذكور الا رأيته ولاعالم مشهور الا أتيته. فممن واضبته مدة الاقامة ولزمته لزوم الطوق لحمامة الشيخ الفقيه الفاضل والحبر التريه الكامل قاضي القضاة وزين الحملة والرواة ذو التواضع والانصاف والمعروف بوطأة الأكناف. مسند عصره والمرجوع اليه في مصره. أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد المعروف بابن الغماز الخزرجي وصل الله صيانته وأدام على الخيرات إعانته. فلقيت منه عالما يأخذ بالأسماع والأبصار. وفاضلا خلت من مثله القرى والأمصار. وغرة أجلى من ضوء الصباح مع سكون الطائر وخفض الجناح. يدأب على الإسماع دؤوب من عد العلم أرفع صناعة ورأى الاشتغال به أنفع بضاعة. لا يشغله عنه الإبقاء على أعضائه الواهية.

ولا يصده عنه ما تتحمله فيه من المشقة نفسه السامية. ولم يؤثر في قوة اجتهاده ضعف قواه. ولا هوى به إلى استياط الراحة هواه. بل يستعذب في خدمة العلم ما يلاقي. ويعده عدة ليوم التلاقي. ولقد منحني الله من قبوله وإقباله ما لم يتيسر لي إلا بمن الله تعالى وأفضاله. ولما اجتمعت به وجدته مواظبا للإسماع بداره غدوة وعشية. فكلمته في قراءة جامع البخاري عليه. وأتيته بأصل منه إستشهرته في شرائه فاستغرب حالي في ذلك. وقال لي إن أردت أن تقرأ في أصلي ويتوفر عليك ما تشتري به فافعل. فقلت له أريد أن أقرأ هذا الكتاب في أصل يكون لي أرجع إليه فأعجبه ذلك مني وأنعم بقراءته عليه وعطل لأجلي أكثر الدول. وكان يداري أصحابها إذا رأى منهم قلقا. فإذا أكثروا عليه وعظهم في رفق. وقال لهم إنه ضيف علينا فاصبروا له حتى يتم الكتاب فترجعوا إلي دولكم وانتم مقيمون. فكان يجلس لي من النهار إلى قريب الظهر. ومن العصر إلى الغروب. وربما قام مرارا إلى تجديد الطهارة. ثم يرجع ويتكلف ذلك على كبر سنه وضعف قواه. فقرأت عليه اكثر الكتاب المذكور قراءة ضبط وإتقان. وولده الفقيه الفاضل المتقن المحقق أبو عبد الله يمسك عليه اصله العتيق المقرو على الإمام أبي ذر الهروي. وعليه خطه. وكان يناوبني القراءة.

وأمسك أنا الأصل حتى كمل لي الكتاب بقراءتي في الأكثر و سماعي بقراءة المذكورة أحيانا. وسمعت عليه أثناء ذلك دولا كثيرة من الموطأ وصحيح مسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي. وناولني سائرها في أصوله ودواوين سواها. وقرأت عليه اكثر التيسير للامام المقرئى ابي عمروا الداني رضي الله عنه. وسمعت عليه باقيه. وقرأت عليه برنامجه الذي قيد فيه أسماء شيوخه وناولني برنامج شيخه الامام الشهير ابي ربيع بن سالم رحمه الله. وسمعت دولا من كتابه الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء . وهو كتاب كبير في اربعة اسفار .

وقرأت عليه من تأليفه أيضا مفاوضة القلب العليل على طريق ابي علاء المعري في ملتقى السبيل وأجازني حفظه الله إجازة عامة. وحضرت عنده مذاكرات ومفاوضات في العلم وانتفعت بلقائه كثيرا. ومما قرأت عليه في برنامج شيوخه للامام الشهير ابي ربيع بن سالم رحمه الله ((طويل)):

إذا برمت نفسي بحال أحلتهـــا	**على أمل نـــاء فقرت به النفس**
وأنزل أرجاء الرجاء ركـــائبي	**إذا رام إلماماً بساحتي اليــــأس**
وإذا أوحشتني من أماني نبـــوة	**فلي في رضى بالله والقدر الأنس**

ومما قرأت له عليه في حرف الكـــاف من مفاوضة القلـــب العليــــل ((سريع)):

يا راكبا في نيل ذاتـــــه	مسالكا يعيى بها السالك
غرتك دنيا منقض شأنها	وأنت لا بد لها تـــــارك
خلابة سلابـــة للنهـــــى	أصـــدق ما غرت به ءافك
ما أمكنت من وصلها طالبا	إلا انثنـــــت وهي له فارك
حذار أن تلقى غدا باكيا	من طول ما أنت بها ضاحك
شاقك وجه في الدجى نير	اسود في عين الحجى حالك
ملكته رقك لم تـــدر أن	قـــد خسر المملوك والمالك
هلا لوجه الحق كان الهوى	فكل شيء غيره هالك

وقرأت عليه أيضا في ذكر مثال نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ((طويل)):

خواطر ذي البلوى عوامر بالجوى	ففي كل حال يعتريه خـــبال
متى يدع داع باسم محبوبه هفـــا	فيهتاج بلبال ويكسف بـــال
وان ريء من آثاره اثر هـــمت له	من غروب مقلتين سجـــــال
كحالي وقد أبصرت نعلا مثلهـــا	لنعل النبي الهاشمي مــــــثال
عراني ما يعر المحب إذا بــــــدا	لعينه من مغني الأحــــبة آل
فقبلت في ذاك المثال معــــاودا	أرى أن ذلي في هـــواه جلال
ومثلته نعل الرسول حقيقـــــة	و إني لأدري أن ذاك مـــحال

ومن سنة العشاق أن يبعث الهوى مثال ويقتاد الغرام خيـــال
ولا فرق إلا أن حب محمـــد هدى والهوى في من عداه ضلال

وقرأت عليه في هذا المعنى أيضا لأبي ربيع المذكور قصيدة كبيرة أولها ((بسيط)):

يا من لصب يري أشجانه النظر مهما تبدي له من حبه أثر
يفي له الصبر عند النائبات فإن يلح له أثر يبق مصـــطبر
وذاك غير ذميم من مواقعـــه إذا تعقبه التنقيح والنظـــر

وهي أزيد من مائة بيت من غرر القصائد أجزلها لفظا ومعنى.
ومن شعر شيخنا أبي العباس المذكور حفظه الله تعالى قوله ((طويل)):

أيا سامع الشكوى و دافع البلوى ويا كاشف الأواء واليأس و الضـــر
أسير الخطايا يرتجي فك أســـره وان لم يكن أهلا لفك من الأســـر
ومالي لا ارجوا وان كنت مسرفا وادري من الصفح الجميل الذي ادري

قلت أتى شيخنا حفظه الله بعروض البيت الأول تامة وإنما سمعت مقبوضة إلا أن الترصيع الذي في البيت ربما سوغ ذلك كما في الترصيع. وقد وقع مثله في شعر المتنبي وتعقب عليه. ومولد شيخنا حفظه الله عقب المحرم من سنة تسع وستمائة. ولقيت بها الشيخ

الجليل الفاضل العالم العامل المسن المسند بقية السلف وقدوة الخلف ذا الدين المتين والمنهج الواضح المستبين صالح العلماء وعالم الصلحاء أبا القاسم بن حماد بن أبي بكر الحضرمي اللبيدي . نفع الله به . وهو أوحد وقته علما ودينا واجتهادا ومواظبة وحسن ظن وغزارة دموع. معدوم النظير في عصره. لا يفتر عن العبادة . ولا يتوانى عن شهود الصلاة في الجماعة وحضور المجلس لاسماع العلم مع فادح ضعفه وفرط شاخته وضرارة بصره. لا يتخلف عن المسجد ليلا ولا نهارا. لا يقطع إسماع العلم وتعليمه وقراءة القرآن. وقد ابلت التسعون بدنه ونهكت قواه. وحفظ عليه ذهنه حفظا تاما. واما اخلاقه وتواضعه وقوة رجائه فغاية في بابه . وكنت اجتمعة به اول ما لقيته في مسجد اقرائه قبل صلاة الصبح مع بعض الفقراء مما يعرفه فسلمنا عليه ودار بيننا كلام يسير فاقبل على الفقير وقال له هذا رجل عاقل. ومازال يواليني من بره واعتنائه بما يليق بالفضلاء امثاله. وما آتيته قط الا هش الي عند ما يسمع كلامي وكان يقدمني للصلاة احيانا وما انفصلت عنه قط الا داعيا لي بكل خير. ولما ودعته بكى وقال لي ان امكنك ان نكتب الى بوصولك الى اهلك سالما فافعل لاسر بذلك . فشكرته وسلمت عليه وانصرفت. ومازلت طول سفري و الى الآن أتعرف

بركة دعائه. والحمد لله على تسخير أوليائه حمدا لا يقف على مدى إغيائه ومما قرأت عليه حفظه الله كثيرا من كتاب البخاري وناولني سائره في أصلي. وحدثني به عن الشيخ الإمام المحدث الراوية أبي زكريا يحيى بن محمد المهدوي ويعرف بالبرقي سماعا عليه لجميعه عن أبي محمد بن حوط الله بإسناده. وقرأت عليه بعض كتاب المعلم للإمام أبي عبد الله المازري في اصله. وناولاني جميعه عن أبي زكريا البرقي المذكور قراءة عليه وسماعا عن الشيخ الفقيه أبي يحيى بن أبي بكر بن عبد الرحمان الغساني المازري في اصله ويعرف بابن الحداد قراءة عليه ثم سماعا عن مؤلفه المذكور وقل ما يوجد الآن أعلى منه فيه سندا. وعن البرقي المذكور رواه أبو عبد الله القضاعي بحضرة تونس حرسها الله. وقرأت عليه بعض كتاب عوارف المعارف للإمام أبي حفص السهروردي رحمه الله. وناولني جميعه بحق قراءته إياه على الشيخ المحدث أبي القاسم عبد الرحمان بن أبي جعفر الأنصاري عن مؤلفه. وقد تقدم أني أدركت بمكة شرفها الله من يروي هذا الكتاب عن مؤلفه. ولم يقض لي الأخذ عنه. وسمعت على شيخنا المذكور دولا من التيسير للإمام أبي عمرو المقرئى ومن كتب شتى في التصوف وغيره وأجازني إجازة عامة. والحمد لله. ومولده حفظه الله عام

ستمائة. ولقيت بها الشيخ العالم الفقيه الزاهد الناسك المنقطع الفاضل الكامل ذا المآثر العالية والفضائل السنية أبا محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاصي الأندلسي نفعه الله ونفع به. وهو من الصلاح والدين والتمسك بأخلاق السلف الصالح والإعراض بالجملة عن إعراض الدنيا. والإقبال بالكلية على طريق الاخوة بالمحل الاعلى. رايته وقد جاء الى شيخنا أبي القاسم اللبيدي فقعد بين يديه وهو يتملقه ويقبل أطرافه. فقال له الشيخ أبو القاسم أنت أخي . فقال يا سيدي ما أنا إلا عبدك. ثم سلم عليه وانصرف. وقد جالسته كثيرا وترددت إليه مدة إقامتي بتونس مقتبسا من علمه ومتبركا بصالح دعائه. ولبست منه من الخرقة المباركة خرقة المتصوفة رزقنا الله بركتهم. وكان هو قد لبسها من الشيخ الصالح العالم العامل إمام الحرم أبي المكارم محمد بن يوسف بن مسدي المهلبي رحمه الله. ولابن مسدي في ذلك جزء مجموع ذكر فيه من كساه الخرقة من الشيوخ واتصال السند فيها إلى السلف الصالح رضي الله عنهم. وقد قرأته عليه. وقرأه على مؤلفه المذكور. وقرأت عليه من تأليف أبي المسدي أيضا الأربعين حديثا في فاضل الحج وأخبرني بها عنه. وقرأت عليه كتاب الإعلام بقواعد الإسلام للقاضي أبي الفضل عياض ابن موسى

رحمه الله. وحدثني عن الشيخ الفقيه الصالح أبي العباس احمد بن عثمان بن عجلان القيسي سماعا عليه عن أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن عصفور عن أبي محمد عبيد الله الحجري عن مؤلفه. وقرأت عليه مختصر السيرة لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكرياء اللغوي صاحب الكتاب المجمل. وحدثني به بسنده إليه. وهو تأليف نبيل بن أوراق بسيرة. وقرأت عليه الكتاب المغني عن الحفظ. والكتاب في حصر الضعيف من الحديث بالأبواب تأليف حفص بن عمر بن بدر الحنفي. وحدثني به عن أبي محمد عبد الملك بن عبد الملك الشقروي ببلنسية. قال قرأت عن مؤلف بيت المقدس. وهو في أوراق نبيل التأليف جدا. وقرأت جملة أجزاء يرويها مسلسلات في الحديث وحكايات وأناشيد. وأفادني فوائد كثيرة نفعه الله واياي بذلك. وما قرأت عليه حدثني به عن ابن عجلان عن ابن عصفور عن أبي القاسم عبد الرحمان ابن عيسى عن أبي الفضل عياض عن أبي علي الصدفي عن أبي بكر الطريثيثي عن أبي القاسم هبة الله بن الحسين عن علي بن محمد عن الحسين بن صفوان عن عبد الله بن أبي الدنيا عن احمد بن عبد الأعلى عن إسماعيل بن أبان العامري عن سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال: لقد رايت عجبا كنا بفناء

الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان. فقال القوم بعد ان فرغروا من حديثهم ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني ويسأل الله حاجته. فأنه يعطي من عه فضلة قم ياعبد الله بن الزبير فانك اول مولود ولد في الهجرة. فقام فاخد بالركن اليماني . ثم قال اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم. اسالك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم. أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة. وجاء حتى جلس. فقالوا قم يا مصعب بن الزبير فقام حنى أخذ بالركن اليماني ثم قال اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء. أسألك بقدرتك على كل شيء أن لاتميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين وجاء حتى جلس. وقالوا قم يا عبد الملك بن مروان. وقام فاخذ بالركن اليماني فقال اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضيين ذات النبت بعد القفر أسألك بما سألك به عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك ان لا تميتني من الدنيا حتى توليني مشرق الأرض ومغاربها ولا ينازعني احد الا اتيت براسه. ثم جاء فجلس. ثم قالوا قم يا عبد الله بن عمر. فقام حتى اخذ بالركن اليماني فقال

اللهم انك رحمان رحيم. اساللك برحمتك التي سبقت غضبك واساللك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة. قال الشعبي: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطي ما سأل . وبشر عبد الله بن عمر بالجنة وريئت له. وقرأت عليه أيضا : حدثنا الفقيه التقي أبو الحجاج يوسف بنو حجاج بنو يوسف قال حدثنا الفقيه الزاهد أبو العباس بن أحمد بن محمد بن حسين بن تامتيت اللواتي قال أخبرنا الفقيه أبو الحسين يحيى بن محمد وقرأته عليه . قال أخبرنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك . قال أخبرنا الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي . قال اخبرنا أبو علي حسين بن محمد الغساني . قال حدثنا أبو العباس احمد بن عمر العذري . قال حدثنا أبو العباس الرازي . قال حدثنا سليمان بن أيوب الطبراني . قال حدثنا بشر بن موسى . قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئى . قال حدثنا حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمان عن الصنايحي عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيده فقال : يا معاذ والله إني لأحبك . فقال أوصيك يا معاذ . لا تدع في كل صلاة أن تقول : اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . وأوصي بذلك

معاذ الضائحي وأوصي بها الصنايحى أبا عبد الرحمان وتسلسلت الوصية هكذا إلى شيخنا فأوصانا بها . وحدثنا أيضا قراءة مني عليه . قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن احمد بن لب المليلي عن أبي عبد الله بن قاسم عن أبي الخطاب عمر بن دحية عن الإمام أبي الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف اللخمي بن الدباغ . قال اخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله احمد بن محمد بن عبد الله الخولاني عن أبي عمر الطمنكي عن أبي جعفر احمد بن محمد . قال قرأت على أبي محمد عبد الله بن محمد بن أمية بن غلبون . قال اخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي حليم قال حدثنا محمد بن وضاح قال حدثنا كثير أبو نجد يزيد بن مجالد قال حدثنا كثير بن سليم قال أتيت انس بن مالك رضي الله عنه بوادي القصب فسمعته يقول. قال رسول الله ﷺ أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة. إنما عذابها في الدنيا بالفتن والزلازل . فإذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم ومسلمة رجلا من أهل الكتاب أو من المشركين فيقول هذا فداؤك من النار . وقرأت عليه أيضا قال أملى على الشيخ الفقيه أبو الحجاج قال أملى علي الفقيه الزاهد أبو العباس هو ابن تأمتيت . قال قرأت على أبي الحسين يحيى بن محمد . قال قرأت على أبي القاسم خلف بن عبد

الملك . قال حدثنا أبو محمد هو ابن عتاب قراءة مني عليه . قال كتب إلى أبو عمرو عثمان بن أبي بكر . حدثنا أبو الحسن عبد الله بن محمد بن بكار بكازرون من ارض فارس . قال حدثنا ابن عائشة . قال حدثنا محمد ب عبد الرحمان القرشي قال كنت عند الأعمش. فقيل إن الحسن بن عمار ولي المظالم . فقال الأعمش وا عجبا من ظالم ولي المظالم ما للحائك بن الحائك والمظالم . فخرجت فأتيت الحسين فأخبرته . فقال علي بمنديل وأثواب . فوجه بها إليه فلما كان من الغد بكرت إلى الأعمش . فقلت اخبرني الحديث قبل أن يجتمع الناس . فأجريت ذكره فقال بخ بخ هذا الحسن بن عمارة زان العمل ولم يزنه العمل . فقلت له بالأمس قلت ما قلت واليوم تقول هذا . فقال دع عنك هذا . حدثني خيثمة عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال جبلت القلوب على حب من احسن إليها وبغض من أساء إليها . وبه إلى ابن عتاب قال قرأت على أبي القاسم حاتم بن محمد التميمي قال حدثنا أبو الحسن القابسي بمنزله بالقيروان . قال اخبرني حمزة بن محمد الكناني بمصر وقد اجتمع عنده الطلبة يسأله كل واحد منهم برغبته في دواوين ارادوا اخذها عنه . فقال اجتمع قوم من الطلبة بباب قتيبة بن سعيد . فسأله بعضهم ان يسمعه

من الحديث . وبعضهم من الفقه واكثر كل واحد منهم برغبته و ألح عليه الرحالون وكان روى كثيرا ولقي رجالا . فتبسم ثم قال ((رجز)) :

تسألني أم صبي جمـــــلا   يمشي رويدا ويكون أولا

مهلا خليلي فكلانا مبتلا

وبه إلى ابن عتاب قال أنشدني أبو عمرو وعثمان بن أبي بكر قال أنشدني أبو نعيم الحافظ قال أنشدني أبو محمد الجابري قال أنشدني ابن المعتز لنفسه ((منسرح))

مـــا عابـــني إلا الحســـود   وتلك من خيـــر المعائـــب

والخيـــر والحســـاد مقرو   نان إن ذهبـــوا فذاهـــب

وإذا ملكت المجـــد لـــم   تملك مذمات الأقـــارب

وإذا فقـــدت الحاسديـــن   فقدت في الدنيـــا الأطائب

وبه إلى أبي الحسين يحيى بن محمد بن على الأنصاري عرف بابن الصائغ قال أنشدنا أبو الطاهر احمد بن محمد السلفي رضي الله عنه لنفسه ((كامل))

أهل الحديث هم الرجال البـــزل   ومن العوالي في المعاني نـــزل

أنى يدانيهم عدو ملحـــــــد   يزري بهم وهو الهوي الأنـــزل

قولوا له قول امرئ منتصـــح ما قوله هذا الصواب الأجزل
هل يستوي السمك الذي تحت الثرى أبدا مقيما والسمـــاك الأعزل

وقد أنشدني هذه الأبيات شخينا شرف الدين الدمياطي حفظه الله بمصر و لم اكتبها عنه. وقرأت أيضا على شيخنا أبي محمد قال الشيخ أبو الحجاج أنشدنا الشيخ أبو العباس . أنشدنا أبو الحسين محمد الكناني . قال أنشدنا الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي البغدادي. قال أنشدنا الإمام أبو زرعة طاهر ابن محمد . قال أنشدنا والد الشيخ الإمام ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي . قال أنشدني أبو الحسن علي بن عبد الرحيم في التصوف واندراس أهله ((كامل))

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقـــه
صار التصوف صيحـــة وتواجدا ومطبقـــــه
مضت العلوم فلا علوم ولا قلوب مشرقـــــه
كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق الملحقـــه
حتى تكون بعين مـــن عنه العيون محدقـــــه
تجري عليك صروفـــه وهموم سرك مطرقــــه

وبه إلى أبي الفضل المقدسي قال أنشدنا أبو الحسن علي بن عبد الله الخرساني لنفسه ((طويل)):

أمدعيا في الناس علم التصــوف أتيت بفعل الجاهل المتكلــــف

متى كنت من أهل التصوف أو متى سلكت طريقا غير طريق التعسف

القصيدة إلى آخرها وهي اثنان وعشرون بيتا وآخرها :

فديتك دع علم التصوف مسكتا فلســت وإن موهت بالمتصوف

وقرأت عليه أنشدكم الفقيه أبو إسحاق بن محمد بن الحاج البلفيقي . قال أنشدني أبو عبد الله بن فرحون السلمي قال أنشدني أبو عمران الزاهد لنفسه ((بسيط))

إلمام كل ثقيل قد أضربنا أروم نقصهم الشيء يزداد

ومن يخف علينا لايلم بنا و للثقيل مع الساعات ترداد

وقرأت عليه أنشدكم أبو إسحاق البلفيقي. قال أنشدنا أبو بكر بن محمد بن قسوم لنفسه((منسرح))

تبا لفرقه قوم لا ينتمون لمذهب

إذا تزندق وغد قالوا فلان تهذب

وقرأت عليه قال أخبركم الشيخ الفقيه المقرئى أبو عمر عثمان بن سفيان بن عثمان التميمي . قال أخبرنا الإمام التونسي هو ابن شقر .

قال اخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي . قال اخبرنا الإمام أبو طاهر السلفي . قال اخبرنا أبو عبد الله محمد بن احمد بن الخطاب الرازي . قال سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي بن نعيم المصري قاضي البرلس يقول عن بعض سكان البرلس . قال سمعت قائلا يقول ليلا من جانب البحر وينشد بيتين فقصد الصوت فلم أرى أحدا فعلمت انه هاتف وهما ((بسيط))

لولا رجال لهم ورد يقومـــــون وآخرون لهم صوم يصومونا

لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا لأنكم قوم سوء لا تبالونا

وقرأت عليه أنشدكم أبو عمرو وهو ابن شقر . قال أنشدنا أبو الحسين بن المفضل المقدسي لنفسه ((بسيط)):

يا رب عفوك عن ذي زلة عظمت به المهابة حتى لاذ بالكرم

إن لم يكن هو أهلا أن تسامــــحه فإنه من جميل الظن في حرم

وله أيضا ((رجز)):

يا حبــــــذا الصالحون انهم في سبيل الصالحات قد سلكوا

إن أكن قد فعلت ما فعلـــــوا فليتني قد تركـــــت ما تركوا

من قيله ((منسوخ)):

أنا مـــن أهـــل الحـــديـــــث وهـــــم خيـــــر فئـــــة

جـــزت تسعيـــــن وأرجـــو أن أجـــــوز المـــائـــــة

قلت قد حقق الله رجاءه وصدق ظنه رضي الله عنه فإنه توفي عام ستة وسبعين وخمسمائة . ومولده تخمينا عام اثنين وسبعين وأربعامائة . أخبرني بذلك شيخنا شرف الدين الدمياطي عن الامام زكي الدين ابي محمد عبد العظيم المنذري رحمه الله . وقرأت على شيخنا أبي محمد أيضا : أملي عليكم الفقيه ابو الحاج من كتابه قال أملي علينا الشيخ الفقيه ابو العباس من كتابه . قال أنشدنا أبو الحسين رحمه الله. قال أنشدنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك . قال أنشدنا أبو محمد بن عتاب. قال أنشدنا أبو عمرو عثمان بن أبي بكر. قال أنشدنا إسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني عند المودعة ((خفيف)):

إن نعش نجتمع وإلا فما اشغل من مات عن جمع الأنام

وقرأت عليه : أنشدكم أبو إسحاق البلفيقي عن غير واحد من شيوخه عن أبي محمد الحجري عن أبي العباس بن العريف لنفسه يعارض أبيات إسحاق الموصلي التي أولها((طويل)):

وآمرة بالبخل قلت لها اقصـــري فذلك شيء ما إليه سبيـــــــل

تعاتبني في الجود والجود شيمـــتي   ومالي بتبديل الطباع زعيــــــــم
ولم أرى مثل الجود أما حديثـــه   فحلو وأما حبه فقديــــــــــــم
ولا خيرفيمن لا يعاش بعيـــشه   ولو أنه فوق السماك مقيـــــــم
ذروني فإن البخل عار لأهــــله   وما ضر مثلي إن يقال عديـــم
أرى كل طلق كل خلـــــــق   حميمه وليس لمقبوض اليدين حميم
وكيف يخاف الفقر أو يحرم الغنى   كريم ورب العالمين كريــــــم

ومولد شيخنا أبي محمد رزقنا الله بركته عام عشرة وستمائة.
ولقيت بها الفقيه الأديب الفضل العارف الأوحد الحسيب الناظم الناثر أبا الحسن علي بن محمد أبي القاسم بن رزين التجيبي المرسي أمده الله وإياي بتوفيقه وأعاننا على اقتفاء الحق وسلوك طريقه . فلقيت منه خيرا فاضلا لين الجانب وطيء الأخلاق مقيدا مفيدا . له النظم الرائق والنثر الفائق و أدرك جلة من الأعلام وجملة من علماء الإسلام . وسمع كثيرا منهم . وأجازه خلق كثير . وله في ذلك فهرسة جمعها فحسن ونمق وأتقن وحقق. كتب لي من اصله وقرأتها عليه وقرأت عليه أيضا . جملة من كتاب الصلة لأبي القاسم بن بشكوال . وحدثني بها عن ابن عمته الفقيه الفاضل أبي القاسم بن نبيل . وعن أبي جعفر احمد بن يوسف ابن فرتون قرأت لجميعها

عليهما بسندهما فيها وقرأت عليه حديث زريب وموعظة داود بن جهوه. وقرأهما هو على الرواية المسند أبي الحسين احمد بن محمد بن احمد بن السراج الأنصاري . وأراني بخط ابن الأبار أن جهوة بالتاء هو الصواب . قلت بالتاء ذكره أبو علي البغدادي وانشد له ((طويل)):

أقاسي البلا لا أستريح الى غد فيأتي غد إلا بكيت على أمـــسى
سأبكي بدمع أو دم أشتفى به فهل لي عذر إن بكيت على نفسي

وقال البكري انشده ابن الجراح وغيره لداوود بن جهوة لم يتخلفوا في ذلك وقرأت عليه الأمثال الكامنة في القرآن للحسن بن الفضل وقرأها على ابن السراج ، على الإمام بن القاسم بن بشكوال . وقيد لي إجازته العامة في رقعة قيد في آخرها أبياتاً من نظمه العارض بها مثلها مما تسلسل فيه القول والإسناد إلى أبي العلاء المعري وأنشدنيها من لفظه وهي ((طويل)):

نصيبك من دنياك أيسر بلغـــة قليل لديها صحـــــة وفراغ
فما بالنا نلهو ونغتر بالـــــمنى كأن ليس للأخرى الغداة بلاغ
كيف وقد ولى الشبــاب ولاح للمشيب بفودي عاريك صباغ
يساغ لنا نسء الحياة لغايـــة ولكن خلود المرء ليس يساغ
فشمر وبادر منك فضل إنابة فحادي المنايا ليس عنه مــراغ

ومما قرأت عليه في برنامجه . قال أنشدني الشيخ أبو الحسين بن السراج قال أنشدني القاضي الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن أغلب الخولاني لنفسه ((خفيف)):

ونهار بنهر قلعة جابـــــر	كان مني لواهن الأنس جابر
بطيور كأنها خطبـــــاء	في غصون كأنهن منابـــــر
سترتها الأوراق فهي تغني	فسمعنا القيان خلف الستائر
اسمعيني يا أم حاء و ســين	ثم نون كعقرب الصدغ دائــر
نوبة تبرئى المنــوب حــق	لو غدا ميتا لأصبح ناشــــر
كيف تدعون قينة الروض أماً	وهي بكر رضيع ثدي الأزاهر

وقرأت عليه لأبي عبد الله القضاعي قال وهو آخر ما أنشدني من شعره وهو ((هجز)):

إلى م في حل وفي ربـــــط	تخبط جهلا أيما خبط
دع الورى وارج إله الورى	فاه ذو القبض والبسط
ليس لما يعطيه من مانـــــع	ولالما يمنع من معـــــط

وقرأت عليه في رسم أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن برطله منها قال أنشدني أبو عمر بن عتاب قال أنشدني أبو الحسن بن المفضل ((طويل)):

أيا نفس بالمأثور عن خير مرســـل   و أصحابه والتابعين تمســـــكي

عساك إذا بالغت في نشر دينـــه   بما طاب من عرف به أن تمسكي

وخافي غدا يوم الحساب جهنما   إذا لفحت نيرانها أن تمســـــك

وقرأت عليه لابن برطله مما قرأ هو عليه ((طويل))

بأربعة ارجوا نجاتي و إنهــــا   لأكرم مدخور لدي واعظم

شهادة إخلاصي وحبي محمدا   و حسن ظنوني ثم إني مسلم

وقيد هذا الاسم برطله بضم اللام وإسكان الهاء . وقال كذا ثبت عنه. وقيدت هذا الاسم على شيخنا أبي عبد الله بن صالح بهاء التأنيث وقرأت عليه أيضا في رسم أبي عبد الله بن الجلاب مما كتب به إليه ((كامل)):

بيني وبين الدهر فيك عتـــاب   سيطول إن لم يمحه الأعتاب

يا غائبا بكتابه و لقائـــــــــــه   هل يرتجي من غيبتك إياب

لولا التعلل باللقاء تقطعت نفس   عليك شعارها الأوصــــاب

وقرأت عليه للأديب الكاتب أبي عثمان بن عبد الله الأنصاري المعروف بالأكوبي قال أنشدنيه لنفسه في نوة مر بهن يتبايكن على القبور في ايام عيد ((كامل)):

برزوا بأحسن زينة و غرتهـــم   ذكرى من الأهلين والخلان

فتهافتت درر الدموع لما رمت   من شت شملهم يد الحدثان

فاعجب لضدي حالتين تلاقيا   زي السرور وعبرة الأحزان

وقرأت عليه قال أنشدني الأكوبي قال أنشدني أبو الربيع بن سالم قال أنشدني أبو بكر عتيق بن علي المعروف بالفصيح. قال أنشدني الحسن ابن أبي الفتح بن وزير الواسطي ببغداد قال أنشدني احمد بن محمد الواسطي قال أنشدني صدفه بن الحسين قال أنشدني بن المدابي قال أنشدني أبو محمد الحريري لنفسه وكتب بها إلى صهره أبي زيد السروجي واسمه المطهر. وكان مدمنا ينهاه عن ذلك ((طويل)):

أبا زيد اعلم من شرب الطلا   تدنس فاسمع قول واع مهذب
ومن قبل سميت المطهر والفتى   يصدق بالأفعال تسمية الأب
فلا تحسنوها ما دعيت مطهرا   وإلا فغير ذلك الاسم واشرب

وقرأت عليه أنشدني الاكوبي قال أنشدني أبو الحاج يوف بن عبد الرحمان المريني لنفسه ((متقارب)):

إذا كنت في الجود ذا رغبة   فلا تنتظر موقف السائل
فان الجواد على رغبـــــة   جواد لعمــرك كالباخل

وقرأت عليه للأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الجذامي القرطبي المعروف بابن العطار مما انشده إياه ملغزا في السكين ((طويل)):

أحاجيك ما شيء إذا ما سرقته ... وفيه نصاب ليس يلزمك القطع

على أن فيه الحد والقطع ثابت ... ولا حد فيه هكذا حكم الشرع

وملغزا في اللغز ((بسيط)):

ما اسم تحار به الأوهام والفكر ... ويعتري اللسن فيه العي والحصر

يستبشر المرء إذ يبدوا لــه فإذا ... لم يبد يعتاده الوسواس والسهــر

يغوي بكل تحرير ذي فطـــن ... ويفتدي منه من لا عنده النظــر

هذا هو اللغز قد جليته لكــم ... كما يجلي سواد الحنــدس القمــر

ومولد الفقيه أبي الحسن بن رزين عام ستة وعشرين إلى عام سبعة وعشرين وستمائة. أخبرني به هكذا على الشك. ولقيت بها الشيخ الفقيه الحسيب العالم الفاضل الكامل الزكي الرضي مفتي افريقية والمنظور إليه بها وقطب أصولها وفروعها والمرجوع إليه في أحكامها غير مدافع ولا منازع أبا القاسم بن أبي بكر اليمني شهر بابن زيتون. لقيته وسمعت كلامه في بعض المسائل. فسمعت كلام ممارس للعلم الطويل الخدمة له. مدل على الخوض فيه غير هيوب ولا

فرق. وحق ذلك لمن زاوله جميعا وفرقا. وطلبه غربا وشرقا. وخدمه من لدن شب إلى أن دب. وأوليع به ولوع متيم صب. يحب لحبه كل منتم إليه. ويعكف بباطنه وظاهره عليه. ولم أكثر مجالسته لقلة تفرغه للرواية وكثرة شغله بالمسائل. وإستجزته فأجازني. وكتب لي بذلك خط يده وكان رحل قديما إلى المشرق فلقي به جماعة من أحبار العلماء وأخيار الفضلاء. وسمع منهم. فأجازوه. منهم الإمام زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري . قرأ عليه نحو الربع من اختصاره لصحيح مسلم وقدر الثلث من أول كتاب البخاري وأجازه. ومنهم شرف الدين ابو عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي . سمع عليه موطأ يحيى بن يحيى وكتاب مسلم وأجازه . ومنهم عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام . سمع عليه مختصر الرعاية من تـــأليفه . وسمع عليه مواضع من قواعده التي سماها مصالح الطاعات. وأجازه رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن على بن عبد الله بن العطار. وصدر الدين ابو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري التميمي. وقرأ عليه بعض كتاب الجامع للترمذي. واجازه عبد الغني بن سليمان بن بنين. وشمس الدين عبد الحميد الخسرنشاهي.ودرس عليه علم الأصول وأبو القاسم بن عبد الرحيم

بن أبي جعفر. سمع عليه كتاب ما أظهره اللفظ للعيان من بحر اللؤلؤ والمرجان من أحاديث العوالي والأبيات الحسان من تآليفه. وأبو يعقوب يوسف بن أبي المعالي بن طاهر الأنصاري. ناوله شعر بن المفرج وحدثه به عنه. ولقيت بها الشيخ الأديب الحسيب المكاتب البليغ ذا الفضائل المذكورة والمآثر المأثورة شيخ الأدباء وأوحد البلغاء وزين الناظمين والشعراء. أبا الحسن علي بن إبراهيم التيجاني التونسي. له بيت عريق في العلم والأدب. قال لي بمسجد إقرائه : أنا الثاني عشر مدرسا من آبائي على نسق. كلهم قد قعدوا هنا للإقراء. وبيتهم بالعلمشهير. وقل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر. وأما أبو الحسن فهو فيه آية الزمان أجادة المعنى وتنقيح لفظ وسرعة بديهة. وكثيرا ما يمليه ارتجالا فيجود ويتقن. وله مشاركة حسنة في العلم. ورواية عن الشيوخ ورحلة إلى المشرق حج فيها. وهو بالجملة من خواص أهل العلم وآحادهم. جالسته كثيرا وسمع كلامه في الأدب وغيره. وقرأت عليه مقالات الحريري. وكان يرد فيها ردا حسنا وينقدها نقدا محققًا. وذاكرته فيها بمواضع عديدة كنت أتعقبها. فأثبت قولي فيها. واستحسنه. وحدثني بها عن الشيخ الفقيه العالم أبي عمرو عثمان بن سفيان التميمي سماعا عن أبي الحسين بن

جبير سماعا عن أبي الطاهر الخشوعي عن الحريري. وقرأت عليه مقامة الدوحية وحدثني بها عن الخطيب أبي محمد بن برطلة قراءة عن أبي زكرياء يحيى بن حسان القرطبي عن منشئها أبي بكر بن عياض القرطبي وقرأت عليه رياضة المتعلمين للإمام الحافظ أبي نعيم وحدثني بها عن الخطيب ابن برطله المذكور قراءة عن أبي الخطاب بن واجب وأبي محمد بن غليون عن أبي عبد الله بن سعادة وأبي بكر بن أبي ليلى عن القاضي أبي علي الصدفي عن أبي الفضل محمد بن احمد الأصبهاني الحداد عن الحافظ بن نعيم. وقرأت عليه قصيدة الشيخ الحافظ أبي عبد الله القضاعي التي امتدح بها الأمير أبا زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص . وهي مشهورة . أولها ((بسيط)):

أدرك بخيلك خيل الله أندلس   إن السبيل إلى منجاتها درسا

وحدثني بها سماعا. وقرأت عليه قصيدة الشيخ الأديب الأوحد الفاضل لبي الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي القرطاجني وهي المقلوبة من قصيدة إمرئى القيس في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم. أجاد فيها وأبدع ما شاء. ورام الصعب فطاوع الإنشاء. وهي مما ينبغي أن يقيد ولا يهمل. فلذلك رأيت إثباتها في

هذا الموضع مستخيرًا الله سبحانه. وقد حدثني بها عن منشئها المذكور وهي ((طويل)):

لعينيك قل إن زرت أفضل مرسـل   قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفي طيبة فانزل ولا تغش منـزلا   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طال ما طاب نشرها   لما نسجتها من جنوب و شمـأل
وأثوابك اخلع محرما ومصـدقا   لدى الستر إلا لبسة المتفضـل
لدى الكعبة كم فاض دمعي لبعدها   على النحر حتى بل دمعي محمـل
فيا حادي الآمال سربي ولا تـقل   عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقد حلفت نفسي بذاك و أقسمت   علي وآلت حلفة لم تحـلل
فقلت لها لا شك أني طائـع   وانك مهما تأمري القلب يفعـل
وكم حملت في اظهر العزم رحلـها   فيا عجبا من رحلها المتحمـل
وعاتبت العجز الذي عاق عزمهـا   فقالت لك الويلات انك مرجـل
نبي هدى قد قال للكفر نـوره   ألا أيها الليل الطويل ألا أنجـل
تلا سورا ما قولها بمعـارض   إذا هي نصته ولا بمعطـل
لقد نزلت في الأرض منة هديـه   نزول اليماني ذي العياب المحول
أتت مغربا من مشرق و تعرضـت   تعرض أثناء الوشاح المفصـل
ففازت بلاد الشرق من زينة بهـا   بشق وشق عندنا لم يحـول
فصلي عليه الله ما لاح بـارق   كلمع اليدين في حبي مكـلل
نبي غزا الأعداء بين تهائـم   وبين أكام بعد ما متأمـل
فكم ملك وافاه في زي منجـد   من بمنجرد قيد الأوابد هيكـل

وكم يمان رامح جاءه اكتســـى	بضاف فويق الأرض ليس بأعزل
ومن ابطحي ليط منه نجـــاده	بجيد معما في العشيرة مخـــول
ازلوا ببدر عن سروجهم العـدى	كما زلت الصفواء بالمتنـــزل
ونادوا ظباهم لا يفتـك فتـــى	ولا كبير انــاس في بجــاد مزمل
وفض جموعا قد غـــدا جامعا لهم	بنا بطن خبت ذي ركام عقنقل
واحموا وطيسا في حنين كـأنـــه	إذا جــاش فيه حميه غلي مرجل
ونادوا بنات النبع بالنصر أثمـــري	ولا تبعدينـــا من جناك المعلل
وممن له سددت سهمين فاضربـي	بسهميك في أعشار قلب مقتل
فما أغنت الأبدان درع بها اكتست	ترائبهـــا مصقولة كالسجنجل
وأضحت لواليها ومالكها العـدى	يقولونـــن لا تهلك أسى وتجمل
وقــد فر منصاعا كما فر خاضبا	لدى سمــرات الحي ناقف حنظل
وكم قال يا ليل الوغى طلت فانبلج	بصــبح وما الإصباح منك بأمثل
فليت جوادي لم يسر بي إلى الوغى	وبات بعيـــني قائما غير مرسل
وكـــم مرتق أوطاس منهم بمسرج	متى ما تـــرق العين فيه تسفل
وقــرطه حرصا كمصباح مسرج	أمال السليـــط بالذبال المفتل
فيرنوا لهاد فـــوق هاديه طرفه	بنــاظرة من وحش وجرة مطفل
ويسمع من كافـــورتين بجانبي	أثيـــث كقنو النخلة المتعثكل
ترفع أن يعزى له شد شـــادن	وإرخاء ســرحان وتقريب تتفل
ولكنه يمضي كما مر مزبـــــد	يكب على الأذقان دوح الكنهبل
ويغشى العدى كالسهم او كالشهاب أو	كجلمود صخر حطه السيل من عل
جياد أعادت رسم رستم دارســا	فهـــل عند رسم دارس من معول

وريعت بها خيل القياصر فاختفت	جواحرها في صرة لم تزيل
سبت عربا من نسوة العرب تستبي	إذا ما اسبكرت بين درع ومجول
وكم من سبايا الفرس والصفر أسهرت	نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل
وحرن بدروًا من ليالي شعورها	تضل المدارى في مثنى ومرسل
وأبقت بأرض الشأم هامًا كأنها	بأرجائه القصوى أنابيش عنصل
وما جف من حب القلوب بغورها	وقيعانها كأنه حب فلفل
وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها	دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
لخضراء ما دبت ولا نبتت بها	أساريع ظبي أو مساويك اسحل
شدا طيرها في مثمر ذي أرومة	وساق كانبوب السقي المذلل
قشدت بروض ليس يذبل بعدها	بكل مغار الفتل شدت بيذبل
وكم هجرت في القيظ تحكي دوارعًا	عذارى دوار في ملاء مذيل
وكم أدلجت والقر يهفو هزيزه	ويلوي بأثواب الغنيف المثقل
وخضن سيولا فضن بالبيد بعد ما	أثرن غبارًا بالكديد المركل
وكم ركزوا رمحا بدعص كأنه	من السيل والغثاء فلكة معزل
فهمدت بقضب شلن بعد إمالة	بأمراس كتان إلى صم جندل
وجيش بأقصى الأرض ألقى جرانه	وأردف أعجازًا وناء بكلكل
يدك الصفا دكًا ولو مر بعضه	وأيسره على الستار فيذبل
دعا النصر والتأييد رايته اسحبي	على أثرينا ذيل مرط مرحل
لواء منير النصل سام كأنه	منارة ممسى راهب متبتل
كأن دم الأعداء في عذباته	عصارة حنان بشيب مرجل
صحاب فروا هام العداة وكم فروا	صفيف شواء أو قدير معجل

وكم أكثروا ما طاب من لحم جفنة وشحم كهداب الدمقس المفتـــــل

حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم مداك عروس أو صلاية حنظـــــل

لإدماح الخير الخلق قلبي قـــد صبا وليس صباي عن هواها بمنســـل

ولم يثنني عن وصفه خود انثنـــت علي هضيم الكشح ريا المخلخـــل

فدع من لأيام صحن له صبـــــا ولا سيما يوم بدارة جلجـــــل

وأصبح عن أم الحويرث ما ســـلا وجارها أم الرباب بمأســــل

وكن في مديح المصطفى كمديح من يقلب كفيه بخيط موصــــــل

وأمل بها الأخرى ودنياك دع فقـــد تمتعت من لهو بها غير معجـــل

وكن كمنيب للفؤاد مؤنـــــب نصيح على تعذاله غير مؤتـــل

ينادي : إلاهي إن ذنبي قد غـــدا علي بأنواع الهموم ليبتـــــل

فكن لي مجيرًا من شياطين شهـــوة علي حراص لو يسرون مقتـــل

وينشد دنياه إذا ما تدللـــــت أفاطم مهلا بعض هذا التذلـــل

فان تملي حبلي بخير وصلتــــه وان كنت قد أزمعت صرمي فأجمل

وأحسن بقطع الحبل منك وبتــه فسلي ثيابي من ثيابك تنســـل

أيا سامعي مدح الرسول تنقشـــوا نسيم الصبا جاءت بريا القر نفـــل

وروضة حمد للنبي محمـــــد غداها نمير الماء غير المحـــلل

ويا من أبي لإصغاء ما أنت مهتد وما إن أرى عنك العماية تنجلي

فلو مطفلا أنشدها لفظها ارعوت فألهيتها عن ذي تمائم مغيـــل

ولو سمعته عصم طود أمالـــه فأنزل منه العصم من كل مـــنزل

وأنشدني حفظه الله لنفسه((طويل)):

قفوا سلموا هذا ضريح محمد

البيتين وقد مر ذكرهما وأنشدني أيضا لنفسه ((رجز)) :

حدثيني أبخد أضحى بما أهدى إلى الآذان آذاني

كأنما في فمه جيفـــة أو شعرة من لحية الداني

وأنشدني أيضا لنفسه((رجز)):

يا من إذا أودع سرا فلا دين له عن نشره يردعـه

كالبوق إن أودع فيه فم ألطف ريح ذاع مستودعه

وأنشدني في الدينار ولم يسم قائله وذلك عند قراءتي عليه قول أبي محمد الحريري ((رجز)):

اصفر ذي الوجهين كالمنافق

يهيم الناس بالدينار حـبًا وما فيهم سوى من يصطفيـه

فذو الوجهين عندهم وجيه وذا نقيض ما قد صح فيـــه

يعني قوله صلى الله عليه وسلّم: ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا وأنشدني في ضده «رجز»:

صديق المرء كالدينار طبعًا وكيف يخالف المرء الطباعا

تراه ما أقام يقيم جاهًـا وإن فارقته أجدى انتفاعـا

قلت وهذا اثبت في وصف الدينار من قول بعضهم انشده الحاتمي في أبيات المعاني ((رجز)):

ومعشوق يرقص كل يوم ترى في وجهه أبدا كلاما
إذا فارقته أجداك نفعـــا ولا يجدي عليك إذا أقاما

ومن هذه اخذ الحريري قوله ((رجز)):

وشر ما فيه من الخلائق إن ليس يغني عنك في المضائق
إلا ذا فرا فرار الآبق

وأنشدني للإمام أبي الطاهر السلفي رضي الله عنه «رجز»:

رب كتاب لي قابلته وقلت في نفسي صححته
حتى إلى عاودته مرت وجدة تحريفًا فأصلحتـــه

وأنشدني لامرأة من أهل بيته لم يسمها ملغزة في اسم تميم((طويل)):

يقولون لي هذا حبيبك ما اسمه فما استطعت إفشاء وما استطعت اكتم
فقلت اسمه ميم وتاء مقـــدم فهذا اسم من أهوى فديتكم افـــــهم

وأنشدني لها أيضا في صفة شعر((طويل)):

إذا انسدلت منه عليها ذؤابـــة كغض أراك عانق الغصن أرقـــــــم
أثيث طويل فهو يستر جسمها إذا نزعت عنه ملابس أسحـــــــم
كان الصباح ارتاع من خوف طالب بثار فأضحى بالدجى يتكتـــم

وأنشدني أيضا وأظنه لنفسه ((وافر)):

رغيف أبي علي حل خوفا   من الأضياف مترلة السماك

إذا كسروا رغيف أبي علي   بكى يبكي بكاء فهو بـــاك

وأنشدني أخوه الفقيه أبو حفص عمر بن إبراهيم التيجاني لنفسه((رجز)):

ســـرك إن أعلمـــته ثانيًـــا   فاعلم بان قد آن أن تفشيه

لان ما اضمر في حالـــــة   إلا فراد تستخرجه التثنيـــه

قلت وهذا استدلال بتمثيل نحوي مليح مناسب جدا يدل على طبع فاصل ومقول فاصل . وأنشدني للفقيه أبي المطرف بن عميرة رحمه الله ((خفيف)):

بائعون مودة هي عنـــدي   كالمصراة بيعها بالخـــداع

فسأقضي بردها ثم اقضي   معها من ندامتي ألف صاع

وأنشدني له أيضا ((طويل)):

شرطت عليهم عند تسليم مهجتي   وعند انعقاد البيع قرنا يواصل

فلما أردت الأخذ بالشرط اعرضوا   وقالوا يصح البيع والشرط باطل

ولقيت بها الفقه الأفضل أبا عبد الله محمد أبي القاسم الأزدي ويعرف بالقاسم بضم القاف وهو رجل فاضل وقور ذو سمت وهيئة

ومن العدول البلد ، رحل إلى المشرق فلقي الناس واخذ عنهم . قرأت عليه جزءا في فضيلة من اسمه محمد واحمد تخريج الشيخ الحافظ أبي عبد الله الحسيني بن احمد بن عبد الله بن بكر النجار . وحدثني به عن وجيه الدين منصور بن سليم الإسكندراني عرف بابن العمادية سماعا عليه بالإسكندرية عن أبي القاسم عبد الرحمان ابن عبد المجيد الصفراوي سماعا . وقرأت عن أبي الفداء إسماعيل ابن علي الموصلي عن أبي عبد الله محمد بن بركة الصلحي عن أبي الحسن علي بن احمد الدهان عن الشريف أبي الحسن محمد بن احمد بن المهتدي عن ابن بكير مصنفه وهذا الجزء جزء لطيف رأيت أن اذكر هنا أحاديث مختصرة الأسانيد ليخف حفظها وعلى أنها مضعفة . فقد قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر أنهم كانوا يتساهلون في أحاديث الفضائل . فيروونها عن كل قوي وضعيف. وان الأحاديث عن انس بن مالك رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوقف عبدان بين يدي الله عز وجل . فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا وبما استأهلنا الجنة و لم نعمل عملا نجاز به الجنة فيقول الله لهما عبدي ادخلا الجنة. فاني آلت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه احمد ولا محمد . وعن أبي إمام الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ولد له مولودا سماه محمدا حبا وتبركا باسمي
كان هو ومولوده في الجنة وعن أبي عباس وواثلة بن السقع رضي الله
عنه من ولد له ثلاثة أولاد ولم يسمي احدهم محمدا فقد جعل وفي
رواية فقد جفاني . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علي
الصلاة والسلام ما اجتمعا قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد فلما
يدخلوه في المشورتهم إلا لم يبارك لهم . وفي رواية عنه ما من قوم
كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه احمد أو محمد فادخلوه فيء
مشورتهم إلا خير لهم . وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال
تسموهم محمدا ثم تسبوهم وعن علي عنه السلام. ما من مائدة
وضعت وحضر عليها ما من اسمه احمد أو محمد إلا قدس الله ذلك
المترل في كل يوم مرتين. وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده
مرسلا قال إذا سميتم محمدا فعظموه ووقروه وبجلوه ولا تذلوه ولا
تحقروه ولا تجبهوه تعظيما لمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الحسن
البصري موقوفا قال إن الله عز وجل ليوقف عبد بين يديه يوم القيامة
اسمه احمد أو محمد قال . فيقول الله تبارك وتعالى محمد عبدي أما
استحيت منه أن تعصيني واسمك باسم حبيبي محمد فينكس العبد رأسه
ثم يقول اللهم إني فعلت . فيقول الله يا جبريل خذ بيدي عبدي

فادخله الجنة . فان استحي أن أعذب بالنار من اسمه على اسم حبيبي محمد . وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه و أوسعوا له في المجلس. ولا تقبحوا له وجها . وعن ابن العباس عنه ما من أهل بيت منهم من اسمه محمد إلا لم يزال في البركة في كل يوم وليلة. وعن أبي هريرة عنه . قال لا يدخل الفقر بيت فيه اسمي . وعن علي رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم . ما من أهل بيت فيه اسم نبي إلا بعث الله إليهم ملكا يقدسهم بالغداة والعشي . وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أكل طعام قط من حلال عيه رجل اسمه اسمي إلا يضاعف الله في طعامهم. وعن أب سعيد عنه عليه السلام : من ولد له مولودا فليحسن اسمه وأدبه فإذا بلغ فليزوجه فان بلغ و لم يزوجه فأصاب إثما باء بإثمه . انتهت أحاديث الجزء المذكور وفي معناها ما اخبرني الشيخ المسند المعمر أبو محمد بن هارون عن أبي قاسم بن الطيلسان عن أبي جعفر بن عبد المجيد عن أبي القاسم بن بشكوال عن أبي عمران بن أبي ثليب عن أبي عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان عن قاسم بن اصبغ عن عبد الله بن أبي مصرة عن مطرف بن عبد الله عن ابن أبي مليكة عن ابن جريح يرفعه . قال من كان له ذو

بطن فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله غلاما . وما كان اسم محمد في بيت إلا جعل الله البركة في ذلك البيت . وبه إلى ابن أبي مصرة. قال حدثني بن أبي قدامة العمري عن أبيه يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة . ولقيت بها الشيخ الفقيه الحاج المبارك الأفضل معين الدين أبا محمد جابر بن محمد ابن القاسم ابن حسان الوادي آشي . وكان من التجار في القيصرية . رحل إلى المشرق قديما . فلقي به الإمام علم الدين السخاوي . وسمع منه . وأجازه . وقرا عليه قصيدة الشيخ الامام ابي القاسم الشاطبي في القراءات وفي المرسوم . وحدثني بهما عنه . وقد قرأت عليه بعض أولى وجميع الثانية . واصله يمسك عليه . وحدثني بهما معا عن السخوي عن ضامهما المذكور وأجازني أجازة عامة وكتب لي بذلك خط يده . وقرأت عليه ارجوزة السخوي في المتشابه من ألفاظ القرآن وحدثني بها عنه قراءة هي في أوراق بديعة محكمة وارى أن اثبت منها هاهنا دررا وأولها ((رجز)):

قال السخاوي علي نظما	**كان له الله الرحيم راحمـــا**
الحمد لله الحميد الصمد	**منزل الذكر عـــلى محمـــد**
فيه هدى للمهتدي ونور	**وحكمة تشفى بها الصـــدور**

ثم مر في مقدمة الأرجوزة إلى أن قال ((رجز)):

وقد نظمت في جتباه الكلم أرجـــوزة كاللؤلؤ المنظـــــم

لقبتها هداية المرتـــــاب وغاية الحفـــاظ والطـــــلاب

أودعتها مواضعاً تخفى على تالي الكتاب وتريح من تـــــلا

رتبتها على حروف المعجم فأفصحت عن كل أمر مبهـــم

فإن أردت علم لفظ مشكل فانظر إلى الحرف الذي في الأول

فانه باب من الأبـــــواب وفيه ما رمت بلا ارتيـــــاب

ولا تعد أولا مزيـــــدا إلا إذا كان هو المقصـــــودا

ثم أتم المقدمة وابتدأ حرف الهمزة فقال ((رجز)):

واقرأ فأنزلنا بأي البقـــرة على الذين ظلموا مخبـــره

لكن فارسنا عليهم جاء في سورة الأعراف يقينا فعرف

وأخر الآيات يفسقونـــا فيها وفي الأعراف يظلمونا

وجاء إبليس أبا واستكبرا فيها وفي صاد أياما ذكرى

ومع وما انزل قل إلينـــا و ءال عمران بها علينـــا

ثم مر على الحروف واحدا واحد إلى آخرها فقال في حرف الياء ((رجز)):

واقرأ ولا يأخذ منها عدل من بعد لا يقبل منها واتل

وقبل لا تنفعها شفاعـــة . هذا على قراءة الجماعـــة

إلا على قراءة المكـــــي فانه بالتاء و البصـــــري

يذبحون مفردا في البقـــــرة　　　وزد بإبراهيم واوا مظهره
وقرا في الأعراف يقتلونـــا　　　وفت إن جاءوك يسألونا

ثم اتم الحروف فقال «رجز» :

وقد تقظت كلمة المشتبـــــه　　　واشكر لنظمي جـــــــاءك
لا ادعي اني حصرت المشكلا　　　لكنها معينت لمن تلــــــــى
وخمسة من بعد العشريــــن　　　العدد مع أربعة من المئين لم تزد
وحمد لله على آلائه حمــد　　　يباري الدهر في بقـــــائه
وصلوات ربنا العظيم عـــلى　　　النبي الطاهر الكريـــــــم
ويرحم الله إمرءا دعـــــا　　　لي برحمة منه وحســـن حالي

وقرأت على الشيخ أبي محمد أحاديثا من أحاديث المعمرين قال: حدثنا محمد بن عبد الباقي المقرئ بمدينة سنجار سنة أربعين وست مئة. قال اخبرني قاضي القضاة أبو علي حسن بن اسماعيل الخوي قال: اخبرنا الإمام اسعد بن اسعد الجراني. قال: اخبرني أبو المحاسم عبد العزيز بن علي بن يحيى. قال: اخبرني والدي أبو الحسن قال: اخبرنا الشيخ الزاهد أبو علي الحسن بن خارج المرندي. قال: سمعت يسرا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر. وكان موضوعا بين قطن مندوف. وقد بلغ من العمر ثلاث مئة وستين سنة

بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: طوبى لمن راني أو رأى من راني . وبهذا الإسناد عنه عليه السلام انه قال: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها خلى ذكر الله ومن أوى إلى ذكر الله تعالى . وبه انه قال من كذب علي متعمدا فلتبوء مقعده من النار. وبه انه قال من أفتى الناس بغير علم لعنته الملائكة في السماء والأرض. وممن لقيته بها فسرني لقائه وولايته في ذات الله فنفعني ولائه وحاضرته فأعجبني ذهنه وذكائه وصحبته فبهرني فضله وحيائه وكرمه وسخائه وتواضعه ورجائه صاحبنا في الله وولينا وصديقنا في طاعته وصفينا أبو العباس احمد بن محمد بن ميمون الأشعري الملاقي يعرف ببن سكان رايته مجريا إلى غاية من كمل ومبرزا في حلبة العلم والعمل. عذبة أخلاقه وفاضة زلالا .واستقامة أحواله كالباني اعتدالا .وفاضة أنامله كالمزن انهمالا . أدرك مزايا الشيوخ على فتوة سنه . فما يتكلم في علم إلا قلت هذا معظم فنه . قد ألف الانقباض فما يبسط إلا يديه وصحب خصر الأمل فما يأمل غده ((طويل)):

مقل من الموال إذ لا يضمها ولكنه من كل مأثرة مثر

سري غني النفس ما تستفزه زخارف دنياه بقل وكثر

وله إعتناه بتصحيح الرواية وإغياء في تنقيح الدراية سمع من الشيوخ واستجازهم واستجوزا له. فتسعة لذلك روايته. وله مجموعات تشوق. ومألوفات تعجب وتروق. منها كتاب في إكمال التذييل لأبي بكر بن فتوح على كتاب الاستيعاب للحافظ لأبي عمر بن عبد البر. قد اعتنى به اعتناء تاما. وهو إلى الآن لم يكمل. ومنها كتاب وسمه بالاطلاع على ما يلزم في رفع الأيدي في الصلاة من الإتباع.

ومنها برنامج جمعه لشيخه الفقيه العالم الأكمل الفاضل الصالح الأديب الأوحد أبي بكر محمد بن الحسين ابن يوسف بن حبيش بفتح الحاء في أسماء شيوخه. وقرأه عليه فكتب عليه بن حبيش رحمه الله ما رأيت أن أقيده هنا بنصه لبراعة ودلالته على فضيلة القارئى والمقروء عليه. وكان هذا الرجل رحمه الله آية الزمان في التواضع وطلب الخمول وإفراط الانقباض مع براعته في فنون العلم وإجادته في النثر والنظم واتساع روايته. فحدثني عنه صاحبنا ولينا في الله أبو عبيد الله بن هريرة انه كان إذا عرف موضعه انتقل عنه إلى الموضع آخر لا يعرف به. واراني تخميساته الثلاثية لقصيدة الشقراطسي. وقد كتبها صاحبنا أبو عبد الله بخطه. وقراها عليه. وكتب عليها قراءته اياها

عليه. وخططه في ذكره بما ينبغي ثم دفعها اليه ليكتب له عليها. قال لي: فادخلها الى الدار. وقال لي: لا تستبطئني ثم خرج وقد بشر كل ما خططه به. ومد اسمه في ذلك المبشور وكذلك بشر كل ما خططت به والده الا الشيخ الكاتب فانه ابقاهما وقال لي: نعم كان شيخنا مسنا. وكان يكتب. واراني صاحبنا ابو عبد الله هذا البشر وخط ابن حبيش عليه. وهذا نهاية ما يكون من التواضع وترك التظاهر. واغرب من هذا ما كتبه لصاحبنا ابي العباس المذكور اعني احمد بن محمد بن ميمون الاشعري المالقي المعروف بابن السكان على ما جمع له من اسماء شيوخه. ومن خط ابن حبيش نقله: الحمد لله احسن هذا الفاضل في ما صنع . احسن الله اليه وبالغ في ما جمع بلغ الله به اشرف المراتب لديه. غير اني اقول واحدة ما سريرتي لها جاحدة. واصرح بمقال. لا يسعني كتمه بحال. والله ما انا للاجازة باهل ولا مرامها لدي بسهل. اذ من شرط المجيز ان يعد فيمن كمل ويعد العلم والعمل. واللهم غفرًا. كيف ينيل من عدم وفرًا أو يجيز من اصبح صدره من المعارف قفرًا وصحيفته من الصالات صفرًا وكيف يرتسم في ديوان الجلة. من يتسم بالافعال المخلة ومتى يقترن الشبهة بالابريز. او يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى

مجانسة الاقمار بالسهى. ومن اعظم التوبيخ تشييخ من لا يصلح للتشيخ. وان هذا المجموع ليروق ويعجب. لكنه جمع لمن لا يستوجب وان القراءة قد تحصلت. ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ علم. ولكن المقروء عليه عدم. وقد شكرت لهذا السري ما جلب. وكتبت مسعفا له بما طلب. وقرنت الى دره هذا المخشلب وقلت وحليي عطل ونطقي خطل مكره اخاك لا بطل. والله ينفع بما اخلص له من الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد. وكتب العبد المذنب المستغفر محمد بن الحسين بن يوسف بن حبيش حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله اعلام الطهارة والهدى. ومسلما تسليما. وقرات على صاحبنا ابي العباس المذكور قصيدة نظمها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم طويلة تزيد على ثلاثمائة وعشرين بيتا رام فيها ايعاب ما نقل من معجزاته صلى الله عليه وسلم ووسماها بخلاصة الصفاء في خصائص المصطفى. وهي مهذبة ومنقحة لا حشوة فيها البتة ومطلعها ((طويل)):

لاحمد خير الخلق اهدي تحـــيتي ... محمد الاتي بحكم وحكمـــــــة

مدحت رسول الله والمدح دونه ... ولو ملأ المداح كل صحـــيفة

ولو كان كالبحر المحيط مداده ... وكالشجر الاقلام ما خط جفت

يمد الدنيا بسبعة ابحر لما بلغت   من مدحه عشر حبــــــــــة
كفاك ثناء الله في الفتح والضحى   وتكريره اياه في غير ســـــورة
فماذا يقول العالمون وربهـــــم   كساه من الامداح اسبغ حلــــة
ولكن في جهد المقل لنفســـــه   رجاء وحسن الظن بيت القصيدة

وكتب على ظهر الجزء من نظمه((بسيط)):

تقرب الناس للمولى بجهدهم   من مدح من ساد كل خلق في الازل
اموا الجناب بامداح ومعذرة   وحمت حول الحمى في غاية الخجل

ثم اطلعت على تقصير مطلبهم فالعجز عن مبدإ الادراك من عمل وانشد حفظه الله لنفسه ((كامل)):

من كان يرجو الخلق في حاجاته   خان الذي يرجى وخاب المرتج
فاقصد إلاه الخلق إما حاجــــة   عرضت فباب الله ليس بمرتج

وانشد لنفسه أيضا ((بسيط)):

أزكى الخليقة خلقا عند خالقهم   ذو حرفة عن سؤال الناس تغنيه
وخير ما اتصف المرء التقي بـــه   في دهر تركه ما ليس يعنيـــــه

وأنشدني أيضا لنفسه ((خفيف)):

تركي الذنب دون شـــــك   آكـــــد من فعلي الرغائـــــب
فميل نفسي لعكس هذا النظام   مـــن أعجـــب العجائـــــب

وأنشدني أيضا ((طويل)):

أيا خالق الخلق لي مطلـــــب ومالي سبيــــــل لأسبـــابـــــه

غذاء حلال بـــــلا منــــــه وثوب وبيـــــت لا ثوى بـــــه

وجودك أملت يـــا خـــالقي فقد جئت للبيـــت من بابـــــه

وأنشدني لنفسه أيضا رحمه الله تعالى ((طويل)):

يقولون لي إن الشهادة مكسب ولم تشتغل يوما بصرف المنى لها

فقلت لهم لي في الشهادة مذهب أنا في سبيل الله أرجو مناهـــا

ولقيت بها الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبا يعقوب يوسف ابن إبراهيم بن احمد بن عقاب الجذامي. فسمعت عليه أحاديث من الموطأ. ومن جامع البخاري. ومن سنن الدراقطني. وناولني جميعها. وحدثني. بها كلها عن الشيخ الفقيه القاضي المحدث ابي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري هو ابن قطرال. فأما الموطأ فقرا عليه صدرا منه وسمع سائره. وسمع عليه بعض كتاب البخاري وبعض سنن الدار قطني. وأجازه سائرها. وحدثه بها ثلاثتها بأسانيده فيها. وهو يحمل البخاري عن أبي محمد بن بونه عن أبي بحر الاسدي عن العذري عن أبي ذر الهروي. ويحمل السنن عنه عن أبي علي الصدفي عن أبي الفضل بن خيرون وحدثني بالأحكام الكبرى سماعا

لبعضها عليه. ومناولة عن ابي الحسن سهل بن مالك عن مؤلفها. وأجازني إجازة عامة. وكتب لي بهذا خط يده. وسألته عن مولده. فاخبرني انه في سنة أربع عشرة وستمائة. ولقيت بها ثانية الشيخ الفاضل أبا محمد بن هارون فأكثرت مجالسته والتردد إليه وقرأت عليه برنامجه في أسماء شيوخه وقرأت عليه جملة أحاديث منشورة. وقرأت عليه برنامج جده لامه الشيخ الفقيه المقرئى الجليل أبي جعفر احمد بن محمد بن إبراهيم بن خلصة الحميري. وبرنامج القاضي الأوحد أبي القاسم احمد بن يزيد بن بقي. وكلاهما تخريج ابن الطيلسان وتأليفه. وحدثني بهما معا عن ابن الطيلسان قراءة منه عليه وعنهما إجازة. وقرأت عليه كتاب الوعد والانجاز لابن الطيلسان. وحدثني به عنه. وهو جزء جمع فيه أحاديث لمن سأله جمعها ليرويها عنه. وقرأت عليه التسبيح الموجز للفقيه الخطيب العالم أبي الحسن سهل بن مالك وحدثني به عنه وقرأت عليه درر السمط في خير السبط لأبي عبد الله القضاعي. وحدثني به عنه سماعًا وقراءة. وهو جزء وضعه في مقتل الحسين رض الله عنه. نحا فيه طريقة أبي الفرج بن الجوزي وكنت أتكلم معه في تعقب بعض مواضع منه قولي فيها وأنشدني أبياتا من

شعره ومن شعر غيره وسمعت منه. وقرأت عليه أشياء غير واحدة فمن ذلك قوله:

ما أنشدني لشيخه القاضي أبي القاسم بن بقي ((سريع)):

ما ميلق العالـــم إلا الـــــذي يخبره العالم في الميــلـــــق

ذاك الذي يكشف أسرارهـــم فيفضح الفاجر والمتقـــــي

وله أيضا ((طويل)):

كرامة من لا يعلم الغيب إنـــما تكون على مقدار ما يتوهـــم

فكم من مسيء عنده وهو محسن وكم محسن في ظنه وهو مجرم

فذاك لديه مزدرى مع فضـــــله وذا مع ما فيه من النقص مكرم

فلا ترج إلا الله لا رب غيــــره تنل فوق ما هوى وما تتوهـــم

وقرأت عليه قال أنشدني الشيخ الفقيه أبو بكر بن محرر الزهري ببجاية ملغزا في نارنجة ((رجز)):

وذات حمل وهي حمل نفسها لا حرة في جنسها ولا بغـــي

قد حملت في بطنها اجنـــــة آهلة إبرازها لا ينبـــــغي

كأنهـــــــــــــــــا لسمها وخلها ابن اصبـــغ

ولما لقيته سألني عن اسمي وكنيتي ونسبي وبلدي وأين انزل فأخبرته بذلك. فقال لي لقيت ابن الطيلسان فسألني كذا فأخبرته.

فقال لي لقيت أبا محمد عبد الله بن احمد بن محمد اللخمي فسألني كذا فأخبرته. فقال لي لقيت الحافظ أبا بكر بن العربي فسألني فأخبرته فقال لي لقيت الشريف أبا القاسم علي بن إبراهيم الحسيني. فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت الحافظ أبا محمد عبد العزيز بن محمد الكتاني. فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت الحافظ أبا النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد بن الأرموي. فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت احمد بن علي بن المهدي الحافظ فسألني فأخبرته فقال لي لقيت أبا مسلم غالب بن علي بن محمد. فسألني فأخبرته . فقال لي لقيت أبا بكر محمد بن عيسى فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت أبا عبد الله الحسين ابن علي بن يزيد الرفاعي فسألني فأخبرته.فقال لي لقيت هدبة بن خالد القيسي فسألني كما سألتك وقال: لقيت حماد بن سلمة. فسألني كما سألتك. وقال لقيت ثابتا البناني. فسألني كما سألتك وقال لقيت أنسا فسألني كما سألتك وقال لقيت النبي صلى الله عليه وسلّم فسألني كما سألتك وقال يا انس أكثر من الأصدقاء فإنكم شفعاء بعضكم لبعض. وهذا الحديث قد أورده أبو بكر بن العربي في مسلسلاته وقال لم يقل شيخنا الشريف في السؤال أبي محمد الكتاني له. وبلدي لأنهما كانا دمشقين فلم يحتج وهو بلديه إلى السؤال عن

بلده. قلت قد يكون السؤال في مثل هذا مع العلم جريا على طريق التسلسل. ولا يشك إن كثيرا من المذكورين قد عرفوا من حدثوه قبل السؤال. ولعل ذكر البلد إنما سقط للمذكور فتوهم ابن العربي أن ذلك لما ذكر. وبعيد أن يعرف انه بلديه ولا يعرف اسمه فلو كان العلم بذلك يغني عن السؤال لم يسأله عن اسمه أيضا ولا عن مترله.وهذا واضح والله اعلم. وذكر ابن العربي بعقب هذا الحديث حديثين في معناه احدهما قوله صلى الله عليه وسلم : استكثروا من الإخوان فان لكل مؤمن شفاعة والآخر قوله صلى الله عليه وسلم إذا جاء الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فانه أوصل للمودة. وقرأت عليه أيضا قال حدثنا ابن الطيلسان بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الحسن الغافقي بقراءتي عليه بمتعبده بجامع قرطبة. قال اخبرنا ابن العربي حدثنا أبو المطهر سعد بن عبد الله الأثر حدثنا الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو بكر بن خلاد. حدثنا الحارث بن ابي أسامة. حدثنا هدبة اخبرنا همام اخبرنا القاسم بن عبد الله اخبرنا عبد الله بن محمد هو ابن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فابتعت بعيرا. فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرا. حتى

قدمت الشام فاذا هو عبد الله بن انيس الانصاري. فاتيت مترله. فارسلت اليه ان جابراً على الباب. فرجع الي الرسول وقال جابر بن عبد الله ؟ فقلت نعم . فرجع اليه فخرج الي فاعتنقته واعتنقني قال: قلت حديث بلغني انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلّم في المظالم لم اسمعه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الله العباد او قال الناس شك همام وأومأ بيده إلى الشام عراة عزلاً بهماً. قال قلت ما بهمًا قال ليس معهم شيء. فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب. انا الملك الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة وواحد من اهل النار يطلبه بمظلمة. ولا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار وواحد من اهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قال قلت وكيف نأتي الله حفاة عراة عزلاً. قال بالحسنات والسيئات. وقرات عليه ثنائيات مالك عن ابن الطيلسان عن ابن بقي بسنده في الموطأ. وقد تقدم ان شيخنا ابا محمد اكمل الموطأ على ابن بقي قراءة وسماعا وقرات عليه ثلاثيات البخاري نحو قرائته لها على ابن الطيلسان عن القاضي ابي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي عن الامام ابي سعيد حيدر بن يحيى الجلي عن الامام ابي المحاسن عبد الواحد بن سليمان الطبري عن الشيخ

الزاهد هبة الله بن محمد القزويني عن الفربري عن البخاري. وقرات عليه عن ابن الطيلسان قراءة على ابي الحسن المقدسي كتاباً عن أبي عبد المالك بن أبي القاسم الأزدي عن أبي عامر محمود بن ابي القاسم الازدي. عن ابي محمد عبد الجبار بن محمد المروزي عن ابي العباس بن أحمد المحبوبي عن الترمذي عن اسماعيل بن موسى الفزاري عن عمر بن شاكر عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر قال ابن الطيلسان. هذا حديث عال وقف في مصنف ابي عيسى ثلاثيا. وليس في المصنف مثله ولقيت بها الشيخ الفقيه الصالح الفاضل ابا العباس احمد بن موسى بن عيسى بن ابي الفتح البطرني منسوب الى بطرنة بفتح الطاء واسكان الراء وهو مؤدب في بعض ارباض تونس ضرير البصر دين صالح مفتن بالغلم وروايته مواظب على افعال الخير. لقي جماعة من العلماء. وسمع من ابي عمرو بن الشقر وقرأ عليه كثيرا وروى عنه. واجازه قرات عليه الاربعين المسلسلة لابي الحسن بن المفضل المقدسي. وحدثني بها عن ابن الشقر عنه. وكان عنده منها اصل ابن الشقر بخطه الذي قرأه على مؤلفه. وكان يمسك عليه في وقت قراءتي مع اصله الذي كتبه هو بخطه وقراه

على أبي عمرو المذكور وسلسلة معه جميع ذلك وسمعت من لفظه الحديث الاول منه. وهو اول حديث سمعته منه. وسمع اخي يحيى الاربعين حديثا المذكورة بقراءتي عليه. وسلسل معه جميعها. واجازني واياه اجازة عامة. وكان يحضر معنا كثيرا مجلس شيخنا ابي العباس بن الغماز للسماع. وكانت له مسموعات ومرويات لم يتسع الوقت لاخذها عنه. والحمد لله على كل حال. ثم سافرنا من مدينة تونس أمنها الله تعالى. فمررنا على باجة ثم على خولان فتياسرنا منها على طريق بونة وأخذنا على طريق القلاع. فدخلناها قلعة قلعة. وهي ذوات عدد. وليس بها ما يذكر ولا يؤرخ. ثم على قسنطينة على الطريق الأولى. ثم على بجاية فرأيت بها الشيخ الصالح المسن ابا الحسين الرندي وهو ابن أخي الأديب النحوي أبي علي عمر بن عبد المجيد الرندي شارح كتاب الجمل. وقد أدركه وقرا عليه وسمع منه ومن غيره. وهو حين رايته لقى ما به حراك من الكبر ولكنه صحيح الذهن كلمته في الرواية عنه فرايته لا يشتهي الكلام في ذلك وآثرت التخفيف عليه. وان لا اعنته في كثرة الكلام والمراجعة مع قلة روايته. فاستوهبت منه الدعاء وانصرفت. ولقيت بها الشيخ الفقيه الفاضل الخطيب المحدث ابا عبد الله بن صالح. فقرات عليه برنامجه في أسماء

شيوخه في أصل بخطه. وقرات عليه بعض درر السمط. وناولنيه بحق قراءته إياه على مؤلفه أبي عبد الله القضاعي. وقرأت عليه بعض الكتاب المحتوي على الشواذ من القراءات للإمام أبي عمر المقرئي. وناولنيه في اصل له مليح متقن. ووهبه لي. وقال لي ناولته لك مشيرا إلى الهبة مبسطا لي بذلك. وناولني كتابه سبويه بحق قراءته إياه على أبي عثمان بن زاهر عن أبي عبد الله بن نوح عن ابي الحسن بن النعمة عن ابي محمد بن السيد عن اخيه ابي الحسن عن الاستاذ ابي محمد بن يونس عن الفقيه ابي محمد بن الاسلمية الحجازي عن ابي نصر هارون بن موسى عن ابي علي البغدادي عن ابن درستويه عن المبرد عن المازني عن الخفش عن سبويه وناولني برنامج ابي محمد بن عبيد الله الحجري روايته عن ابن السراج عنه. وقرأت عليه بعض رسالة ابن ابي زيد وناولنيها. وحدثني بها عن ابن زاهر قراءة عن ابن نوح بسنده. وناولني ابن نوح بسنده. وناولني كتاب الشهاب روايته عن ابن زاهر قراءة وعن ابن قطرال سماعا وناولني كتاب القربة الى الرب العالمين في فضل الصلاة على سيد المرسلين بحق قراءته إياه على ابن السراج عن مؤلفه ابي القاسم بن بشكوال. وناولني كتاب المصابيح تأليف الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود. وحدثني به عن ابن برطله

بسنده. وناولني مختصر حلية الأولياء للحافظ ابي نعيم باختصار شيخه الفقيه العالم الصالح ابي الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزي عرف بابن قبوش. وحدثني به عنه وقرأت عليه لابن قبوش ((طويل)):

غنيت بما عندي ومالي لا أغنى   واعرضت في قصدي عن العرض الأدنى
إلى الملإ الأعلى علوت بهمتـــي   فرافقت ما يبقى وفارقت ما يفنـــــى
تركت للذات البهائم أهلهـــا   وهمت بما به عالم المعنـــــــــــــــى

وأنشدني حفظه الله للإمام الحافظ أبي محمد عبد الحق الأزدي من قوله حين ولي قضاء بجاية ((وافر)):

وكانت لي ذنوب موبقات   يضيق بحصرها حرف الروي
فلما إن وليت الحكم يوما   أتى الوادي فطم على القري

ثم سافرنا من بجاية. فمررنا على قرية ملالة وهي بالقرب منها فرأيت بها الفقيه أبا علي منصور بن محمد الزواوي المشدالي. ومشدالة قبيلة من زواوة. ويلقب بناصر الدين لقبا لزمه من الشرق وقد رحل قديما إليه فقرا به الأصول والفروع دراسة وتفقها وله منها حظ وافر ولكنه غير معتن بالرواية ولا له فيها حظ.

وقد حدثني انه حضر وفاة أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي بالزعقة من رملة الشام. وسألته عن التاريخ وكان غرضي فلم يحفظه شهرا ولا عاما وهذا نهاية ما يكون من الإغفال وحسبنا الله في كل حال ثم رحلنا على طريقنا الأولى إلى مليانة فتيامنا منها على طريق مازونة مثوى خطوب الزمان ومناخ ركاب الحدثان وهي بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بحرف واد منقطع شبه قلعة. ولكنها واهية حسنا ومعنى. وليس بها ما يتعرض لذكره البتة. ثم مررنا على مدينة وهران وهي مدينة مليحة حصينة برية بحرية. وهي مرسى تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي ولكنها لما طرقها من نوائب الدهر مطرقة. وجيوش الخطوب الملمة بها محدقة. قارعتها حتى قرعت ساحتها ونافحتها بسموم الآفات حتى ذهبت صباحتها. فألقت بيدها مستسلمة وعادت بعد ضوءها مظلمة لا وشل بها يشفي غله ولا طبًا يدواي علة. انتثلها الزمان فلم يبق بها تقيا. وأبدلها الحدثان من كل بشاره نعيًا. لا تلقى بها معمل يراعة ولا ترى فيها حلف براعة بل خرس بها لسان التلاوة وزيد بها حمار الجهل على الفودين علاوة لم يطعموا العلم ولا ذاقوا له حلاوة بل تبرؤوا منه فكلهم فالج بن خلاوة فيها عجبا لي اصف بالفناء وهران كأني لم أر

سكان تلمسان ثم وصلنا إلى تلمسان وكانت نيتي ان أقيم بها مدة حتى أجد صحبة قوية اقطع معها المفازة التي في طريقها إلى رباط تازا. وهي منطقة موحشة لا تخلو من قطاع الطريق البتة. وهم بها اشد خلق الله ضررا وأكثرهم جراءة واقلهم حياء ومروءة لا يستقلون القليل ولا يعفون عن ابن السبيل ليس في أصناف القطاع أخس منهم همما ولا أوضع منهم نفوسا ولا أكثر منهم إقداما على كل صالح وطالح لا ينبغي لمسلم ان يغرر بلقائهم فلما وقفنا على باب تلمسان صادفنا العادة الكريمة من لطف المولى سبحانه فالفينا قافلة تخرج وهي كبيرة تزيد على الألف وقال لنا قائل على الباب إن لهم في محاولة الخروج نحوا من ثلاثة أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة فدخلنا إلى البلد وخرجنا ساعة دخولنا إلى زيارة قبور الصالحين بالموضع المعروف بالعباد وزرت قبر الشيخ الصالح أية زمانه أبي مدين رضي الله عنه. ثم رجعنا إلى البلد فبتنا به. ثم خرجنا من الغد وأدركنا القافلة بحمد الله بوجدة وهما مدينتان بينهما مسافة قليلة في بسيط مستو. وقد دثرتا فلم يبق منهما الا رسوم حائلة وأطلال ماثلة. والقديمة أشدها دثورا. وبهما عمارة قليلة. فرحلنا منها مع القافلة

حتى وصلنا إلى رباط تازا. وذلك في آخر رمضان ثم عيدنا في مدينة فاس. وقلت في ذلك ((بسيط)):

قالوا تعيد في فاس فطب فرحا فقلت مالي بها دار ولا عطن

فاس ومكناسة وطنجة وســـلا عندي كزديك لا أهل ولا وطن

بغداد قفر إذا لم تحولي سكنا والقفر بغداد إن أهلي بها قطنوا

ثم مررنا على مكناسة فلقيت بها الشيخ الفقيه المحدث القاضي ابا الحجاج يوسف بن احمد بن الحكم الثقفي التجيبي الاندلسي. وهو شيخ فاضل راوية. لقي جماعة من كبار العلماء واخذ عنهم وقيد لي بخطه منهم ابا الربيع بن سالم وابا الحسن بن قطرال وابا الحسن بن خيرة والرجل الصالح ابا صالح محمد بن محمد بن أبي صالح وابا بكر بن محرز وابا عيسى محمد بن ابي السداد وابا الحسن سهل بن مالك وأبا جعفر بن الدلال وابا عبد الله بن قاسم واجازني اجازة عامة وذكر لي أن المذكورين كلهم قد أجازوه إجازة عامة ولم اقرا عليه الا الحديث الاول من الموطأ وحدثني به عن ابي الحسين بن خيرة قراة وعن ابي الربيع بن سالم قراءة عليه لصدر منه وسماعا عليه لسائره. وكان في املي الاجتماع بالفقيه المحدث ابي محمد عبد الله مولى الرئيس الاوحد الصالح ابي عثمان سعيد بن حكم صاحب مريقة لما

تقرر لدي من همه بالعلم واعتنائه بالرواية و لم يقض لي حينئذ ان اجتمع به وقد وقفت على فهرسة شيوخه فرايت صنع فاضل ذي همة وقد شاركته في بعض شيوخه الذين ذكرهم. ثم مررنا على مدينة ازمور وزرنا قبور السادة المدفونين بها من الصالحين نفعنا الله ببركاتهم وختمنا الرحلة بزيارة قبر شيخ الصالحين وقدوتهم شرف المغرب الاقصى وفخره وشمس زمانه وبدره ابي محمد صالح بن يناصرن افاض الله علينا من بركاته وامد بصائرنا بنور يستمد من مشكاته ثم منّ الله علينا من بركاته بجمع الشمل والاجتماع بالاهل له الحمد والشكر كثيرا.

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

والحمد لله الذي أعجزت صنائعه شكر الشاكرين وبهرت بدائعه فكر المتفكرين فمن نداه هما كل فضل وبلاً وجودًا وله الحمد كثيرًا بدءًا وعودًا وهذه قصيدة نظمتها في الرحلة رأيت أن اختم بها هذا التقييد مستعينا بالله على ذلك ((وافر)):

عليك النصح رده بكل حيـــــي وان ألفيت وارده فحـــــــي

فمعظم ديننا نصح البرايــــــا كذاك أتى الحديث عن النبـــي

وقد نصح الجماد لذي اعتبـــار وكف أولوا النهى عن كل غيي

لسان الحال ابلغ من بليـــــــــــغ	وفي ذي الجهل أعي من عيـــــي
وقدمًا سارت الأمثال عنهـــــــا	وما زدنا سوى حرف الـــروي
فاصغ الى نصائحها مصيخًـــــا	وايقظ جفن ندب شمـــــــري
مسحت الأرض غربًا ثم شرقــــاً	أسائل عن عواقب كل حـــــي
فقالت ما سؤالك بعد علـــــــم	الم ترهم جميعا تحت طـــــي
تسائل والحوادث مفصحـــــات	صوائح قد اصمت بالـــــدوي
فصافحت التصفح مستبينـــــا	فما الفيت أرضا ذات عـــــي
مررت بحاحة فسألت عمـــــن	أناخ بآخر الغرب القســـــــي
فقالت خلفوني ذات شجـــــو	ابكي بالغداة و بالعشـــــــي
اناخ بهم زمان ليس يرثـــــي	لغيلان ولا يعني بمـــــــي
وقد أهدى الكسوف إلى أنــــاس	تراهم كالبدور لذي النـــدي
وجئت السوس اسأل وهو الأقصى	فقال إليك عن كمد شجـــــي
ألم تـــرني وحيـــداً مـــن أناســـي	كمـــا عطلت كعاب من حلـــي
وطفـــت بلاده أرضاً فـــأرضاً	تخبـــرنـــي بمـــوهمـــم الوجـــي
ووافينـــا تلمسانـــــاً فأبـــدت	على أهـــل مضوا شجو النعـــي
كـــذا مليانة أبـــدت عويـــلاً	لأهل ضمهـــم جـــرف الأتـــي
ورحـــت إلـــى الجزائر ذا سؤال	فقيـــل سألـــت من هي بن بـــي
دع التســـاؤل عمن حل تربـــاً	وبـــادر منهـــج البـــر التقـــي
وقالـــت لـــي بجـــاية أنت خلـــو	فيـــا ويـــح الشجي من الخلـــي
تسائـــل عن أمـــور ظاهـــرات	عقرت لهـــا ظهـــوراً للمطـــي
وجئـــت بني ورار وهي عمـــري	أثـــارت كـــامن الشجن الخفـــي

وميلة لم تمل عن نهج نصح   أصخ إن كنت ذا فهم سني
ومن شاء الحديث فقل فسنطينة   تروي حديث المغربي
وبونة قد أبانت من أبانت   صروف الدهر من سام سري
وفي خولان أطرقت اعتباراً   جرى الوادي فطم على القري
وباجة بالبوائح قد أباحت   وأمحل روضها من بعد ري
ولما جئت تونس وهي خود   زهت بجمالها وبحسن زيي
سألت عن الأولى هاموا إليها   فكم برها منهم حفي
فقالت ما أرى منهم أنيساً   وشر الوصل وصل الآدمي
وجئت القيروان فجئت قفراً   يجيب صداه بالصوت الشجي
وقابس قد نزفت بها سؤالاً   فكانت مثلها سياً بسي
ورحت إلى طرابلس فقالت   رمت أهلي الحوادث عن قسي
وفي مسراتة سحت جفوني   لما أبدأت من النصح الجلي
وفي زديك مسقط كل قفر   بيان بالخطاب المعنوي
يقول صحبت قبلكم أناساً   غدواً لسهام دهري كالرمي
وكم رمت لدي عظام شخص   منيب فاضل بر تقي
وباحت بالنداء قصور سرت   - فأورت زند فكر الألمعي
وقالت لي أقمت هنا زماناً   أشاهد عبرة في كل حي
وكم نشرت علي بنود ركب   عليهم غابة من سمهري
فما طال المدا إلا قليلاً   وقد عفاهم مر الآتي
رأيت الدهر يسحت كل حي   يكر على الجبان مع الكمي
وقد برقت ببرقة لا معات   تلين عريكة القلب القسي

وسل اسكندرية أين ولى ... وسل عن ساكن اسكندري
وسل فسطاط عمرو عن نواه ... وسل عن جوهر مولى الشقي
بقاعدة الديار ديار مصر ... وسل بعبيدهم والقرمطي
وسل أم القفار بمن طوته ... فكم من فاضل فيهم رضي
وكم حلت قوى من حل فيها ... وكم حالت حلى وجه وضي
وكم ضخم يموج من امتلاء ... غداً نضواً بها مثل النضي
بها صرف الزمان يكون صرفاً ... فكم ناع حوته وكم نعي
وسل في أيلة براً وبحراً ... وينبع سل بمنقطع ثوي
وإن تعطف لطيبة ليت عنس ... فعرج إنها بيت الروي
وقل أين الأحبة ليت شعري ... أيخفي الترب أقمار السمي
وقفت هناك معتبراً سؤولاً ... أخا جفن رو وحشى ظمي
بجمع مابه إلا مشوق ... إذا ما سيم بيع بلا نسئ
فقلت لها فديتك أين أوس ... وأين أخوه معتنق الكمي
فقالت ويك قد ذهبا لأمر ... عظيم الشأن في وجه نضي
وكم قد راح بعدها منون ... بأوسي وراح بخزرجي
فياً عجباً تسائلني بأوس ... وحسبك واعظاً قبر النبي
وفي الدهناء باح ولم يداهن ... لسان الحال بالسر الخفي
فسل بها منازل عافيات ... كوشم لاح في كف الهدي
وسل بدراً بعير من قريش ... وعن فرسانها وسط الركي
وجئت خليص أسأل عن نجي ... من الآفات في الدنيا بري
فقالت ما سمعت بمشرقي ... نجا من صرفها أو مغربي

وكررت السؤال ببطـــن مـــر   فقيل ضللـــت عن نهـــج ســـوي

فلا وأبيـــــك ما في الأرض حي   وقي سهم الحتوف ولا ابن حـــــي

وشأن الدهر حــــــل وارتحـــــال   وبطـــش بالعـــــدو وبالولـــــي

وكم أعدى الضعيف على قـــوي   مـــدل والفقيـــــر على غنـــــي

ولما جئـــت مكة قمـــت فيهـــــا   أسائلها بكعـــــب أو لـــــؤي

فقالت قـــــد سطا بهما منـــــون   وبعدهما أناخ علـــــى قصـــــي

وصال عليهم شخصا فشخصـــــاً   فسل إن الســـؤال جلاء عـــــي

وما نكل الردى علـــى هاشمـــــي   ولا أنف الردى مـــن باهلـــــي

ولا مازت عساكـــــره قديمـــــاً   حنيفـــاً مسلمـــاً من جاهلـــــي

فمالك سائل عـــــن واضحـــــات   تبـــدت للذكـــــي وللغبـــــي

أما دارت علـــى داري صـــروف   كسرن عماد كسرى الفارســـــي

وقد أناخت على الفاروق جهـــراً   وعثمـــان وبعـــد على علـــــي

وفي السبطين جـــئن بكـــل نكـــر   على كفي طليـــــق أو دعـــــي

وما راعت عيـــــاد أبي خبيـــــب   ببيـــــت الله والحـــرم العلـــــي

وما غـــب الردى ببغام ريـــــم   ولا بزئيـــــر ليـــث قاصـــــري

وما أبقـــــى على شيخ وكهـــــل   ولا غضـــــر الشباب ولا صبـــي

ولا ذا العلم خصص من جهـــــول   ولا ذا الرشـــد ميز من غـــوي

بمالك الإمـــام غـــــذا منيخـــــاً   وأحمـــد والإمـــــام الشافعـــــي

وبلد فكـــــرة من كـــل حبـــــر   وقط لسان طلـــق لـــو ذعـــــي

وما إن خام عـــــن وعل بنيـــــق   ولا في قفـــرة عـــن أحـــــذري

نفوس الخلق يشـــرب ليس يـــــروى   بوسمي يصـــــوب ولا ولـــــي

يشق القفر أهدى من قطاة ... وليل النقع أجرى من كمي

وما جاب القفار بأرحبي ... ولا شق الغبار بأعواجي

وليس بني يبدد كل نظم ... وليس بني يذوب كل نيي

تراه إلى السورى يمشي الهوينا ... مخاتلة لهم كمسير في

وما دارى لمنطقه جريراً ... ولا هاب القوافي من عدي

وما حابى لصنعته حبيباً ... ولا أرضى المفاخر في الرضي

وما أعفى من الأحداث عفواً ... ولا طرفا يصان بأتحمي

ولا غمراً يصوب بكل ري ... ولا ذمراً يصول بمشرفي

ولا ملكاً تدين له البرايا ... ولا عبداً تزمل في كسي

إذا حان المكامن حين حين ... فرى في السامري حشى الرمي

وما عرف الكبيس فزاد يوماً ... ولا أجرى الشهور على النسي

فسل بالناسئين ولا نساء ... وسل عمراً بوالده لحي

ولا تطمح بعينك نحو سام ... بهمته إلى أقصى الرقي

فأرقى الناس منزلة كسهم ... يكون هويه سبب الهوي

ولا يغررك من دنياك وصل ... ففي الأمثال أغدر من بغي

فقلت لقد نصحت بكل معنى ... حقيق أن يصاخ له حري

وقد أسمعت أو ناديت حياً ... ولكن النداء لغير حي

فقالت قد عهدت إليك نصحاً ... فوفقك المهيمن من وصي

فهرس المدن والأماكن[1]

(الألِــفُ)

(البَــاءُ)

(1) رتّبنا هذا الفهرس ترتيبا ألفبائيا دون اعتبار كلمة (ال) .

(التَّــاء)

(الجِيم)

(الزاي)

(السين)

(الشين)

(الطاء)

(العين)

(الغين)

(الفاء)

(القاف)

(الكاف)

(الميم)

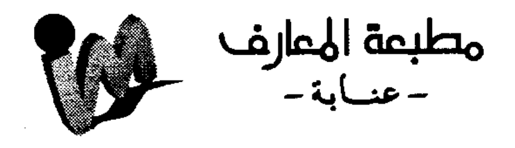
(النون)

(الواو)

(الياء)

مطبعة المعارف – عنابة

الهاتف: 49 06 83 030 – الفاكس: 16 10 83 038



من منشورات بونة للبحوث والدراسات:

- شعر الصحابة «دراسة موضوعية فنية»

تأليـــــف: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م

- الشعريات العربية «المفاهيم والأنواع والانماط»

تأليـــــف: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م

- دراسات في أدب المغرب العربي

تأليـــــف: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م

- الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تأليف: أحمد بن قاسم البوني

تقديم وتحقيق: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م

- التعريف ببونة إفريقية بلد أبي مروان الشريف، تأليف: أحمد بن قاسم البوني

تقديم وتعليق: د. سعيد دحماني، 1428هـ/2007م

- من هيبون بونة، إلى عنابة، تاريخ تأسيس قطب حضري

تأليـــــف: د. سعيد دحماني، 1428هـ/2007م

- الرحلة المغربية، تأليف: محمد العبدري البلنسي

تقديـــــم : د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م

- بلاغات النساء، تأليف: أحمد بن أبي طاهر طيفور

تقديم وتعليق: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م



Bouna

Lil-Buhooth Wal-Dirasat

